

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
القاهرة



مشاهد من حياة الرسول

(صلى الله عليه وسلم)

للشيخ مأمون غريث

يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة

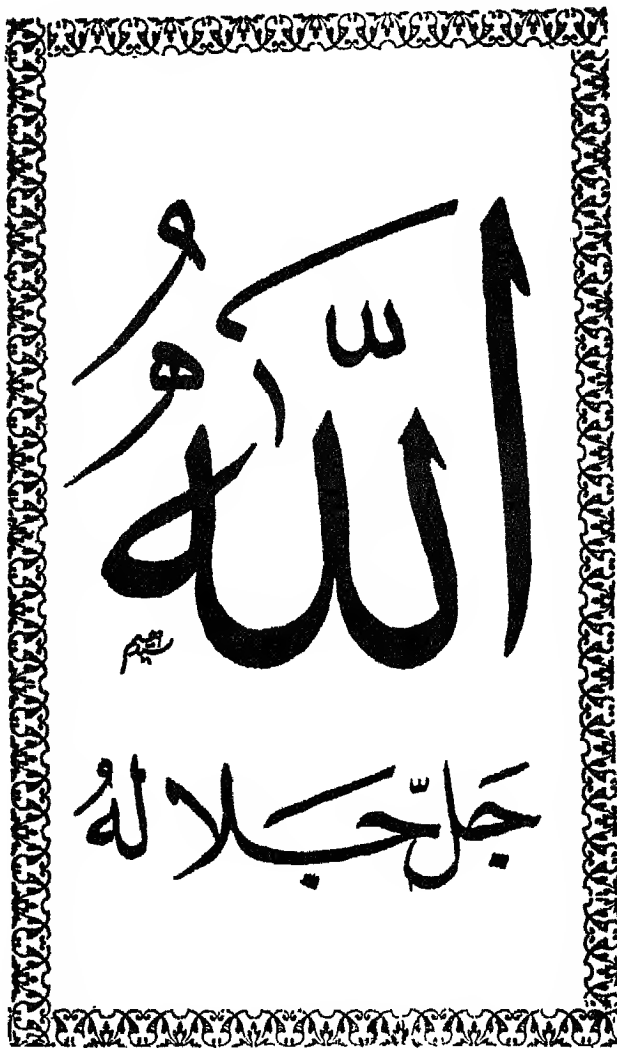
العدد ١٩٢

كتب إسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
القاهرة

مشاهد من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

للإمام مأمون غريث

يشرف على إصدارها
محمد توفيق مويضة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

« قرآن كريم »

روى ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله خلق الخلق ، فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم . فانا خيار من خيار من خيار » .

(حديث شريف)

مقدمة

كان من منتهى آمالي أن اكتب دراسة مبسطة عن حياة النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام . .

وكان أملي أن تكون هذه الدراسة موضوعية بعيدة عن شطحات الخيال التي ملأت كتب السيرة ، وفي نفس الوقت خالية من الأساطير التي وجدت أيضا في بعض الأعمال التي تأثر كتابها بلا وعى بالاسرائ依ليات كما أنني لاحظت أن بعض الكتب التي كتبها أدباء كبار عن السيرة امتلأت هي الأخرى بالخيال الذي قد يفرضه الطابع الأدبي حتى تأتي السيرة في اطار مشوق جذاب .

لقد قرأت عشرات الكتب التي تناولت السيرة في مختلف العصور . كما قرأت في نفس الوقت أقوال ودراسات بعض المستشرقين قرأت السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين الطبري ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وعشرات من الكتب القديمة والحديثة التي تناولت هذا الموضوع ، وقد لاحظت أن معظم دراسات هؤلاء المستشرقين تمتلئ بالحقن على نبينا الكريم ، ومن هنا جاءت هذه الدراسات بعيدة عن الموضوعية ، وان كان البعض منهم — وقد بهرتهم شخصية الرسول — لم يستطع الا أن يحنى ثامته اجلالا لهذه الشخصية المبهرة فجاءت دراساتهم منصفة لهذا الذي ملأ الأرض نورا وعدلا ، ورحمة وسلاما .

وأمام الدراسات الكثيرة التي قراتها عن النبي الكريم وجدت بي شوقا عظيما أن اكتب دراسة مبسطة عن السيرة . . لأنه من

الصعب على القارئ العادى اليوم ان يقرأ المطولات عن حياة الرسول ، ودار في ذهنى تساؤل .. لماذا لا أكتب هذه الدراسة بحيث تعطى للقارئ صورة عن النبى الكريم دون الدخول في تفاصيل ، لا تنفع الا المتخصصين من ناحية ، ومن ناحية أخرى تكون هذه الدراسة مكثفة وموضوعية .. بعيدة عن شطحات الخيال التى ظهرت في الكتب التى ألفها بعض كبار الأدباء المعاصرين ، وبعيدة في نفس الوقت عن الأساطير والاسرائيليات التى امتلأت بها الكتب القديمة التى تناولت حياة الرسول .

ولقد دفعتنى الى هذه الدراسة محاولة وضع خطوط تحت أحداث هزنتى في السيرة .. كما أن حياة الرسول قد هزنتى من الأعماق في بداية حياتى ، وأنا على أبواب الشباب .. في هذه الفترة مررت بمرحلة قاسية . أعتقد أن كل شاب مر بها في محاولة البحث عن الحقيقة ، ودارت في ذهنى علامات استفهام كثيرة كلما حاولت أن أعرف كنه نفسى — أن أعرف أسرار العالم المحيط بى ..

من أنا ؟

كيف جئت ؟

ولماذا جئت ؟

ما الهدف من هذه الحياة ؟

ما وراء هذه الحياة ؟

ما هو الوجود ؟

ما هو المعدم ؟

.. أسئلة كثيرة حائرة عذبتنى كثيرا ، ووجدت أن هذه الاسئلة الحائرة تبادرت الى أذهان الناس في مختلف عصور التاريخ ..

وتساءلت هل يمكن أن أعرف ؟ وما دليلى الى هذه المعرفة ، ووجدت أنه من الصعب أن أتوصل الى معرفة الحقيقة — فلا العقل البشرى بقادر بوسائله البسيطة أن يستوعب أسرار الوجود ،

ولا بقدره الانسان بإمكانياته المتواضعة أن يدرك سر الحياة والموت .. !!

أخذت أسبح في بحار الفلسفة فلم تزدني الفلسفة الا حيرة وكلما طرحت علامة استفهام كانت الاجابة علامة استفهام اشد غموضا ..

وزادت حيرتى ،

وطال عذابى ، وعندما كنت أقرأ كتب العلم يزداد اقتناعى بأن العلم ليس بقدرته أن يجيب على هذه الاسئلة الحائرة التى تدور فى ذهنى ، وفى أذهان الآخرين ..

ان (نيوتن) العالم الكبير : مكتشف قانون الجاذبية يقول فى اخريات حياته :

« لست أدري كيف ينظر العالم الى ولكنى أترأى لنفسى كما لو كنت غلاما يلهو على شاطئ البحر ، وأسلى نفسى بين الحين والآخر بالعثور على حصة أكثر ملاسة أو صدفة أجمل من المعتاد ، بينما كان محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامى دون كشف ! »
وترأت لعالم كبير من علماء الطبيعة وهو شرنجتون « قوله :

« لقد أصبح بقدره العلم أن يفسر الحياة باعتبارها تنفسا وحركة ، ونموا وتوالدا ، وتحليلا للأغذية فى الأنسجة .. الخ

ذلك أنه لا يوجد شئ من هذه الظواهر لا يقع تحت سلطان العلم .. انها كيميائيات وطبيعيات ولكن هذا الشئ الآخر المصاحب للحياة وهو الفكر يهرب من دائرة العلم الطبيعى ، ويظل بعيدا عنه ، حتى لقد بدا العلم الطبيعى يتجاهله باعتباره شيئا يخرج عن دائرة بصره ، وبهذا نشأ فارق أساسى بين

الحياة والعقل — فالحياة موضوع للكيمياء والطبيعة ،
أما العقل فيهرب منها . بحيث يمكن تلخيص الإنسان
في أنه يتألف من طاقة وعقل »

وهكذا أعلن العلم افلاسَه في فهم العقل !! وما أكثر ما قرأت
من دراسات لعلماء أعلنوا عجز العلم عن فهم الكثير جدا مما يحيط
بنا من أشياء .

وإذا كانت الفلسفة لم تشف غليلى للمعرفة ، وكذلك العلم
فلقد لجأت الى الدين وقرأت التوراة والانجيل والقرآن ، وأخذت
أدرس حياة الرسول ، وكلما وقفت أمام بعض الأحداث التي مرت
به عليه الصلاة والسلام كلما ازددت اقتناعا بصدقه وعظمته . .
يموت ابنه ابراهيم ، ويحدث كسوف في الشمس ، ويعتقد البعض
أن هذا الكسوف مشاركة من الطبيعة في أحزان محمد . . ويسأله
بعض الناس ، وهو في أشد الحاجة أن يؤمن به هؤلاء الذين
ساموه العذاب . . هل هناك علاقة بين هذه الظاهرة وموت ابنه
. . فيجيب بكل الايمان :

« أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان
لموت أحد أو حياته » !

وبكل هذا الايمان العميق يقول :

« بعثت الى الناس كافة . . فان لم يستجيبوا . لى
فالى العرب — فان لم يستجيبوا لى ، فالى قريش .
فان لم يستجيبوا لى فالى بنى هاشم ، فان لم
يستجيبوا لى فالى وحدي ! »

ومن احاديث الرسول ، ومن سيرته : نرى انفسنا أمام انسان
لا يعرف الادعاء . انسان صادق . يمشى في الأسواق ، ويجرى
عليه ما يجرى على أى انسان نزل عليه قرآن كريم يستحيل أن
يكون من صنعه ، فكيف ؟ وهو الأملى يأتي بهذا البيان الساحر .
كما أن القرآن الكريم في حديثه عن ظواهر الكون ، وعن تاريخ الأمم

السابقة شيء مبهر معجز . لا يمكن ان يكون كلام بشر . انه كلام الله سبحانه وتعالى :

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

والذى يشرح الله صدره للإيمان يشعر بهذا الشعور الرائع الذى لا يشعر به الا المؤمنون — الشعور بالأمن والأمان — الشعور بالراحة النفسية — ايمانه يجعله يرى الدنيا من خلال منظار بهيج . ويجعله يفلسف الحياة وما فيها بما يتوافق مع المبادئ العظيمة السامية التى نادى بها نبي الاسلام .

وبالطبع من الصعب كتابة السيرة بتفاصيلها .. فهذا يعنى كتابة مجلدات . كما تحتاج الى عمر طويل ، ولكنى هنا فقط أشير مجرد اشارة الى بعض مشاهد من السيرة العطرة وعندى مطمح فى شيء واحد .. مثوية الله ورضاه ..

المؤلف

طفولة محمد

(صلى الله عليه وسلم)

ما من مرة قرأت عن طفولة النبي عليه الصلاة والسلام ..
الا وذهب خيالي بعيدا يصور لى هذه الطفولة ، التى صهرها
اليتم فى بوتقته ، وجعل منه رجلا مؤهلا لحمل رسالة السماء الى
الأرض ، وهداية البشرية الى دين الاسلام . وحتى يستطيع أن
يتحمل ما تحمله من أهوال فى سبيل نشر الدعوة .. تلك الأهوال
التى يستحيل على أى انسان أن يتحملها ما لم يكن قويا .. شجاعا
.. محاربا .. بجانب الصفات الأخرى التى تحلى بها من ذكاء
القلب ، والصبر . والحلم .. كل تلك الصفات التى جمعت حوله
القلوب .. وجعل البعض يؤثره على أقرب الناس اليه .

نعرف أن محمدا ولد يتيما ، فلم ير والده . لقد مات وهو مازال
جنينا فى بطن أمه ، وسماه جده عبد المطلب محمدا حتى يحمد فى
السماء والأرض ، ثم يذهب مع حليلة السعدية التى حملته معها
الى البادية .. ويمكث هناك حتى بلغ الرابعة من عمره وتعود به
حليلة وزوجها الحارث لتعيده الى أمه التى تتشوق حبا وحنانا له ،
وكان هذا فى موسم الحج حيث تزارح الناس الى البيت العتيق ،
وكان الوقت ليلا ، وجرفته سيل الحجاج المتدفقين .. لقد تاه عن
حليلة والحارث ، وإذا بالصبي الصغير محمد يفلت من زحام
الناس ليجلس تحت شجرة . رابط الجأش .. هادىء الأعصاب —
لا يبكى ولا يولول ، وهو الذى لم يتجاوز الرابعة من عمره ، حتى
يأتى اليه من يعرفه ويعود به الى أهله .. لقد جلس تحت الشجرة

هائداً .. تاركا خياله يسرح في تلك الأيام التي قضها في بني سعد ويتذكر أخوته من الرضاعة ولعبهم معه عبد الله وأنيسه والشيء ، وكثيرا ما كان يبتسم وهو يسترجع هذه الأيام ويتذكر لعبته المفضلة حيث يخرج مع أخوته في الليالي المظلمة ، ويلقون بعظمة بيضاء في الخلاء الموحش ، ومن يبصر هذه العظمة ويعثر عليها يصبح رئيسا للجماعة ، وكان هو دائما الذي يعثر عليها .

ودهبت حليلة لجهه تخبره بأن محمدا قد تاه منها في تلك الليلة الشديدة الزحام ، وخرج عبد المطلب يمتطى صهو حصانه يبحث عن حفيده الحبيب مع جماعة من أقاربه منهم ، ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأبو الحكم بن هشام (أبو جهل) وبعضا من متعقبى الأثر ، وعثر عليه ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو ، فقد رآه يجلس تحت الشجرة ، وحمله الى جده عبد المطلب ، ثم ذهب به الى أمه حيث عاتقته عناقا حارا ..

ساعتها سألت آمنة بنت وهب حليلة السعدية لماذا جاءت به قبل الميعاد ، وأخبرتها حليلة ان محمدا يميل الى الوحدة ، وهو كثير التأمل .. كما أنه كان يحرص على صعود الجبل .. وكل هذه الأشياء أخافتها ان يحدث له شيء أو يصيبه مس من الشيطان ؟

عاد محمد الى مكة ليكلفه جده عبد المطلب .. وكان سعيدا بصحبة أمه آمنة ، ورعاية أعمامه له ، ولكن التاريخ يقص علينا قصة تعطى مؤثرا لما سيكون عليه محمد في مستهل أيامه — لقد مر بمكة جذب شديد . أمسكت السماء عن المطر ، فجفت الخضرة ، ونفقت بعض الحيوانات ، وأصبح أهل مكة على أبواب كارثة ، وتجمع الناس يطلبون من عبد المطلب المشورة .. فقد عجز السحرة والكهان على ان تأتي السماء بسحاب ، وتوجه عبد المطلب مع هذه الجموع ، ومعه حفيده محمد حيث طافوا بالبيت سبعا ، ثم صدوا الى جبل تبیس ، وتوجه ببصره الى السماء وهو يحمل محمدا وشاهد الناس عجا ! شاهدوا الطفل الصغير يرنو ببصره الى السماء في خشوع رهيب . لم يتفوه . لم ينطق بكلمة . ولكن قلبه كله كان متجها الى السماء .. بينما كان عبد المطلب يتوجه الى الله بهذا الدعاء :

((اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة ، أنت عالم غير معلم ومسئول
غير مبخل ، وهذه عبداؤك وإيماؤك بعدرات حرمك بشكون اليك
سننتهم ، فاسمعن اللهم ، وأمطرن علينا غيثا مريعا مفقدا)) .

ولم يكد تهبط تلك الجموع من الجبل الا وقد هبت الرياح ..
وامتألت السماء بالسحب ، وأنهمرت الأمطار !

وتمضى الأيام ، وتقرر أمه آمنة أن تذهب بمحمد الى يثرب ليزور
معها قبر أبيه ، وليتعرف على أحوال جده من بنى النجار وكان عمره
قد تجاوز السادسة بشهرين .

أخذت آمنة ابنها الحبيب الى صدرها ، وحدثته في سنه تلك
الصغيرة عن قصة زواجها بوالده ، وعن حياته القصيرة معها ،
وأنها تنوى زيارة قبره في يثرب ، وأنها سوف تأخذه معها الى حيث
دفن والده ، وفي نفس الوقت يتعرف على أحوال جده عبد المطلب
من بنى النجار ، ويقضى هناك شهرا يعرف شيئا عن هذه المدينة
التي تجمع قبائل الاوس والخزرج واليهود ، وهى فرصة لأن يرى
بلادا جديدة و .. رحب محمد بالفكرة ، وحان ميعاد الرحيل ..
وركب مع أمه في هودج على جملها بينما ركبت جاريقتها بركة الحبشية
على جمل آخر ، وجاء جده وأعمامه يودعونه ، وانطلقت القافلة
في طريقها الى يثرب ، وشعرت آمنة بانقباض لا تعرف سببه وهى
تودع مكة وكأنها تودعها الوداع الأخير ، وفي الطريق شاهد محمد
الأصنام التي تعبدها القبائل المختلفة ، ولم يجد في نفسه راحة
لما يفعله القوم من تقديسهم تلك الأصنام المصماء التي لا تنفع
ولا تضر ، ولكنه في سيره كان كثير الصمت .. يتأمل ما حوله من
مظاهر الكون . السهول . والوديان ، والجبال .. وفي الليل كان
يتأمل الكواكب والنجوم ، كأنه يريد أن يستشف كنه هذا
الوجود .

ويذهب محمد الى يثرب .. يمكث بها شهرا .. يعرف خلالها
الكثير من عادات القوم ومعتقداتهم ، ويتعلم هناك السباحة ، وتقرر
أمه العودة ، وفي الطريق كانت الأم تحتضن وحيدها بلهفة وشوق
.. كان هناك شعورا مبهما غامضا في أعماقها بأنها تقترب من

الرحيل عن هذه الدنيا ، وأنها سوف تترك وحيدها وحده في الحياة وتهب ريح عاصفة عاتية ، ويتوجه محمد الى أمه فيرى وجهها وقد علاه الاصفرار ، وهي لا تقوى على احتضانه ، ويراهها تقاوم شيئاً فوق طاقتها .. أن الرياح يزيد اندفاعها ، وربال الصحراء القاسية تضرب الوجوه ، والأم العزيزة غير قادرة على الاحتمال فتصيح « واكرباه » .

ويشعر محمد الصغير بنياط قلبه تتمزق .. ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً . لقد علمه اليتيم الكثير .. أنه رغم سنه الصغيرة يحبس الدمع في مآقيه .. حتى لا يزيد من أحزان أمه في هذا الموقف الصعب الذي هي فيه .. حتى أسدلت الأم جفونها وراحت في غيبة الموت .. ساعتها انحنى عليها يبكي عليها أحر البكاء .. بينما حاولت أن تنزعه جاريته بركة الحبشية من أحضان أمه .. وجاء رجال القافلة ليدفنوها في « الأبواء » ، ورجع محمد وحده الى مكة . حيث وجد في استقباله أعمامه وجدته عبد المطلب .. واحتضنه جسده ، وهو يعلم يقينا أنه سيكون لهذا اليتيم شأن عظيم ..

وعاشي محمد في مجتمع مكة . رأى عادات تهرات وشاخت ولا بد لها أن تتغير ..

رأى مجتمعا فقد عقله تحت ضغط تقاليد سخيفة حين يسجد لصنم لا ينفع ولا يضر كما رأى عادة وأد البنات ، ورأى هذا المجتمع وقد امتلأ بألوان من النساء والاستهتار . فهناك أصحاب الرايات الحمر .. أو الخيام التي ترتفع عليها الاعلام الحمراء يرتادها عشاق اللذة الحرام . بجانب انتشار الخمر والميسر والربا ، وشاهد المجتمع ، وهو ينقسم الى مجتمع السادة ومجتمع العبيد ، أو الذين يملكون كل شيء والذين لا يملكون أي شيء كما وجد أن مجتمع الجزيرة العربية مبتلى بالقبائل المتناهرة المتناحرة : القوى يتربص بالضعيف ، ولم يكن في هذا المجتمع سوى فئة قليلة من الذين يعبدون الله على دين ابراهيم الخليل ، وقلة من اليهود في يثرب ، ونذرة من المسيحيين : أما الأغلبية فهي التي تعبد الأصنام .. بعد أن طال عليهم الأمد ، ونسوا دعوة ابراهيم واسماعيل .

تلك الدعوة التى انتشرت بين قبائل العرب عندما جاء ابراهيم عليه السلام من الشام ، وترك هاجر وابنها اسماعيل عند البيت الحرام .. وشب اسماعيل ، وجاء ابراهيم ليقيم القواعد من البيت وهو يدعو الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء :

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم .
ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وكثر دعاء الخليل لسكان هذا المكان الطاهر :

● « رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات » .

● « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبني أن نعبد الأصنام »

لقد تزوج اسماعيل من قبائل جرهم ، وعاش فى هذا المكان الطاهر يدعو الى الله ، وقد أنجب من زوجته السيدة بنت مضاض ابن عمرو الجرهمى اثنى عشر ابنا ، ودفنت أمه هاجر بجوار الكعبة وهى فى الستين من عمرها ، ولكن الزمن يمضى ، والناس تنسى رحيق دعوة الاسلام الذى جاء به ابراهيم ، ويطول العهد ويمتلىء البيت العتيق بالأصنام ، ونرى هناك فى هذا المجتمع من يحاول أن يشرب يعنقه الى أيام ابراهيم ، ويرى القوم قد ضلوا السبيل ..
فها نحن نرى رجلا كتس بن ساعدة الأيادى يخطب فى سوق عكاظ ، ومن بين خطبه مثل هذه الخطبة :

« ان فى السماء لخبرا ، وان فى الأرض اهيرا . ما لى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالاقامة فافاموا أم تركوا هناك فناموا؟! أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه : ان لله ديننا هو أرضى من دينكم هذا .. ثم قال :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر . ورايت قوما نحوها يمشى الأصاغر والأكابر . لا من مضى يأتى اليك ولا من الباقين غابر
أيقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر ... » .

في هذا الجو رأى محمد كل شيء ، وعرف الكثير ، وعرف انه ينتسب الى ابراهيم الخليل ، وهو الذى قال فيما بعد :

« ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم .. فاننا خيار من خيار » .

.. ان محمدا الصغير يرى ما حوله ، ولكن لا يشارك الناس عاداتهم وتقاليدهم ، ويسمع أن عمه الزبير سوف يسافر في رحلة الشتاء الى اليمن ، ويطلب من عمه أن يصحبه في هذه الرحلة . فهو يحب الرحلات حبا شديدا : انه يرى فيها أشياء نهزه من الأعماق يكفى أن يسير وسط مظاهر الطبيعة متأملا كون الله الفسيح وما فيه من آيات . ليشعر راحة نفسية عميقة وهو يتأمل نجوم السماء ، ويرى تتابع الليل والنهار ، ويفكر فيما وراء هذا الكون ..

ويسافر مع عمه الى اليمن . انه دائم الصمت والتأمل ، ولكن مشهدا يحدث في الطريق يكشف عن معدن محمد .. « الصبي » الذى عليه اليتيم الشجاعة والاقدام . القافلة تبلغ واديا ضيقا ، واذا بفحل من الابل يثور ثورة عارمة ، ويدب الفزع في قلوب الجميع ، وتتوقف القافلة عن السير ، واذا بالجميع يشاهدون عجبا : بينما لا يستطيع أحد أن يقترب من الفحل الهائج . ينزل محمد من بعيره ، ويتقدم الى الفحل ، وابتسامة عريضة على شفتيه . ثم يتقدم أكثر نحو الفحل ويربت عليه ، فاذا بالفحل يهدأ ، واذا بمحمد يجعله يبرك على الأرض ويركبه . لقد أسلم له هذا الفحل قياده الى أن عبر هذا الممر الضيق وبعدها عاد محمد ليركب جملة وقد ارتسمت على وجهه عمه الزبير ابتسامة الرضا بابن أخيه الشجاع ،

وهكذا . علم اليتيم محمدا الكثير .

وبموت جده عبد المطلب زادت أحزان محمد ، ولكن سرعان ما احتضنه عمه أبو طالب ، وتمضى الايام .. ويقرر عمه أبو طالب السفر الى الشام في رحلة الصيف فيتقدم محمد الى عمه قائلا :

— الى من تكلنى يا عمه . لا أم لى ولا أب .

ويشعر أبو طالب كأن الدنيا تدور به . كيف يترك أحب الناس الى قلبه وحيدا فى مكة ؟ وأخذه معه ، وكعادة محمد ما أن سارت القافلة ، وأخذت طريقها نحو الشام حتى أطلق لروحه العنان باحثا عن سر الكون ! كان معه فى هذه الرحلة أبو بكر ، وكان محمد فى الثانية عشرة من عمره ، وكان أبو بكر فى العاشرة . وعند أحد الأديرة فى الصحراء استوقفهم أحد الرهبان ، واقترب من محمد وأخذ يتحدث معه ، وعرف الراهب أن هذا الصبى سيكون آخر رسل السماء ، وتقدم من عمه يسأله :

— من هذا الصبى ؟

— انه ابنى . .

— ليس ابنك ولا ينبغى أن يكون أبوه حيا !

واقترب من محمد يتفحص عينيه الحراوين :

— هذا نبى !

— وما النبى ؟

— الذى يأتية الخبر من السماء !

— وكيف يأتية الخبر من السماء ؟

— لينبىء اهل الأرض !

لم يتصور أبو طالب أن يكون هناك انسان يوحى اليه من السماء ، ولم يعر قول هذا الراهب أى اهتمام ، وانطلقت القافلة ، حتى اذا ما اقتربت من قرية (الكفر) التى تبعد عن بصرى ستة أميال استوقفهم الراهب (بحيرا) الذى صنع للقافلة طعاما ودعاهم على غير عادته لتناول الطعام معه . فهذه هى المرة الأولى الذى يدعوهم هذا الراهب الى الطعام ، وهم الذين كثيرا ما يمرون عليه فلا يكثرث بهم ، فلماذا دعاهم هذه المرة الى الطعام ! حضر كل من فى القافلة ، ولم يخلف سوى محمد ، ونفّس فيهم فلم يجد الفلام فسأل أبا طالب :

- الم يتخلف أحد ؟
- لم يتخلف سوى أحدثنا سنا .
- فليحضر .
- وجاء محمد وأخذ (بحيرا) يتفحصه ، ويطيل النظر اليه وسأله :
- سأسألك . بحق اللات والعزى أن تخبرنى عما أسألك عنه .
- فرد محمد :

— لا تسألنى باللات والعزى شيئا . فانا أبغضهما ، وأخذ يسأل محمدا عن أشياء كثيرة . . وعما يراه فى منامه ، وإن كان ما يراه يتحقق أم لا ، وعرف أن كل ما يراه محمد مناما ينحقق فى الواقع ، وطلب من محمد أن يكشف عن ظهره . عندئذ لاحت عليه الدهشة كما لاحت على القرشيين الدهشة أيضا وهم يرون (بحيرا) ذلك الشيخ الجليل يقبل موضعا من ظهر محمد . ثم تقدم نحو (أبو طالب) فسأله :

- ما هذا الغلام منك ؟
- انه ابنى .
- ما هو ابنك ولا ينبغى أن يكون أبوه حيا ؟
- انه ابن أختى .
- أين أبوه ؟
- مات وأمه حبلى به ؟
- صدقت !
- وأين أمه ؟
- توفيت قريبا .
- صدقت . . أرجع بابن أخيك ، واحذر عليه اليهود لان له سنا عظيما . اسرع به الى مكة .

ويرد عليه ابو طالب :

— ان كان الامر كما وصفت فهو في رعاية الله .

لم يكن ابو طالب مؤمنا بأقوال الكهان ، ولا كان مصدقا لما سمعه من الراهب ، ولكنه خشى أن يصاب محمد بسوء فيقال أنه لم يسمع كلام الراهب ، فطلب من بعض غلمانه أن يعودوا بمحمد الى مكة ، وهنا طلب صديقه ابو بكر (عتيق بن ابي قحافة) أن يعود مع صديقه الى مكة ، وعادا سويا .

وهنا يجب أن ننوقف قليلا عند آراء بعض المستشرقين الذين قالوا أن محمدا تأثر تأثرا كبيرا بما قاله له (بحيرا) وبالتالي فقد تصور محمد كل ما قاله له هذا الراهب عندما كان صغيرا وقال لنفسه لماذا لا أصبح نبيا بالفعل حتى تتحقق لى المكنة فى قریش والقبائل الأخرى ؟

وهذا الكلام الذى قاله المستشرقون كلام لا يستحق الرد ، لأنه كلام يدعو الى الضحك ولا يمكن أن نأخذه مأخذ الجد . . لأنه من المستحيل بالطبع أن تكون هذه الرسالة المتكاملة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام نتيجة لما بثه (بحيرا) فى ذهنه !

فهل كان (بحيرا) عالما بالشريعة الاسلامية التى جاء بها محمد . . . بما فيها من عبادات وقيم وتشريع ، وقرآن يعجز البشر أن يأتوا بمثله ! طبعاً ما قاله هؤلاء المستشرقون محض افتراء ، وهم لا يستحقون فى حديثهم عن محمد فى هذه النقطة عناء الرد . بل أن هذا الراهب (بحيرا) عاش فى ضمير التاريخ : لا . لأنه كان راهبا متعبدا فى الصحراء ، فما أكثر هؤلاء الرهبان الذين عاشوا وماتوا لا يدرون بأحد ولا أحد يدري بهم . ولكن (بحيرا) عاش فى التاريخ نتيجة مقابله لسيد البشر . . لمحمد عليه الصلاة والسلام الذى جاء بآخر رسالات السماء .

شباب محمد

(صلى الله عليه وسلم)

شباب محمد طاهر كالثوب الأبيض .. فما عرف شبابه اللهو والمجون ، ولا انغرس فيما انغرس فيه أترابه من شباب قريش في السهر في المنتديات لسماع الأغاني والشعر وضرب الدفوف ، ولا احتسى خمرا ، ولا عاش عالة على أحد .. ففي صباه كان يرعى الغنم ، وما هو في شبابه ما يزال يرعى الأغنام ليكسب قوته بعرق جبينه ، وكأن الأقدار تمهد له لتحمل عبء الرسالة .. فالرسالة تحتاج الى صبر وشجاعة وإقدام ، وفي رعى الأغنام وسيلة ليتعلم الصبر ويتحمله ، كما علمه اليتيم كيف يعتمد على ذاته ، وجعله يقدر الأمور ويوزنها بميزان صحيح .

كل ما يروى عنه أنه حاول مرة ، وكان في الثالثة عشرة من عمره أن يسمر كما يسمر الشباب ، وقد رأى الشباب وقد خرج في ليلة مقمرة لسماع الأغاني ، أو ما يقوله الشعراء .. أو ما يرويه الشيوخ من الأساطير ، وفكر لماذا لا يلهو ليلة في حياته كما يفعل أترابه من الشباب .. لقد ترك الغنم في صحبة أحد الرجال ، وهو يسمع صوت القيان يغنون في عرس بمكة ، وعندما اقترب من الأصوات ، لم يشعر بشيء .. لقد أخذته سنة من النوم ثم لم يلبث أن راح في نوم عميق ، وظل في نومه الى أن لفحته أشعة الشمس ، وعزم أن ينام نهاره ليقضى ليلة ساهرة ، وإذا ما حدث له بالأمس يحدث له في نفس الليلة ، وفكر طويلا ، واهتدى أن مثله ما ينبغي أن يعيش اللهو ، وهو الذي قضى حياته مفكرا في

الكون وما وراء هذا الوجود : انه يكاد يستشف ما وراء هذا الكون بالهامه .. انه ما خلق لهذا ! ان قلبه ينتقبض عندما يدخل الكعبة فمرى الأصنام الصماء التى لا تنفع ولا تضر .. ماله ؟ وما انغريست فيه مكة من لهو وعيث ومجون .. لقد عزم العقد بعدها أن لا يفكر فى هذا الأمر ..

انه يعرف ما يدور فى هذا المجمع المكى من عادات وتقاليده « ويعرف أن هناك قلة من الحنفاء الذين يعبدون الله على دين ابراهيم الخليل .. من أمثال ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل .. وكان زيد هذا يهرب من عمه الخطاب الذى كان يؤذيه ويضربه لأنه يسمه دين الآباء والأجداد ، وكان منتهى آماله أن يكف عمه آذاه عنه ويتركه لحال سبيله ، ويعبد ما استقر بوجدانه دون تدخل من احد ، فليس عنده القدرة على مواجهة الناس ، بل يكفى ما يتعرض له من سفهاء الشباب .. فهم يرمونه بالحجارة فيفر هارباً الى شعب الجبال ..

وقد ورد عن زيد بن عمرو بن نفيل قوله :

يا معشر قريش .. والذى نفسى بيده ما أصبح منكم على دين ابراهيم غيرى ..

ومن أشعاره المشهورة قوله :

أربا واحدا أم ألف رب	أدين إذا تقسمت الأمور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها	ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربى	ليغفر ذنبى الرب الغفور

وزيد هذا قد مات قبل بعثة محمد بخمس سنوات . وقد تزوج ابنة فاطمة بنت الخطاب شقيقة عمر بن الخطاب ، والتي كانت السبب فى أسلامه ..

مهما يكن من شيء .. فقد كان محمد يعرف كل ما يدور فى مجتمع الجزيرة العربية ، وكانت روحه هائمة دائما فى البحث عن الحقيقة

كان العالم في حاجة الى رسالته جديدة تعيد الأمور الى نصابها .. تعيد القيم النبيلة ، تصبح هناك قدرة للتعايش بين الذين يملكون والذين لا يملكون . كانت الحياة تتطلع الى مجتمع جديد يسوده العدل والرحمة والمساواة ! الفقير يجد نفسه بجوار الغنى .. الضعيف لا يأكل حقوقه القوى .. الاستعمار الذى جثم على العالم المورف حينذاك كان قد تهرأ وشاخ . متمثلا فى الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ، ومن هنا كانت البشارات التى قال بها الرهبان فى صوامعهم بأن نبيا قد اظل الناس زمانه .. هذا النبى الذى بشر به عيسى بن مريم .

((واذا قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد)) .

فالانجيل والتوراة كانا يبشران بالنبى المنتظر .

((الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل)) .

.. ان الأيام تمر .. ومحمد يعمل فى رعى الغنم ، مبتعدا عن مبالذ مجتمعه ، وكانت خديجة « بنت خويلد » من أثرياء قريش تبحث عن رجل أمين يتولى تجارتها ، وكانت مع ذلك من أعرق بطون قريش .. كان قد سبق لها الزواج من عتيق بن عائذ المخزومى ، وعندما ماتت تزوجت (أبو هالة بن زرارة التميمي ، وأنجبت منه (هالة وهند) .. الا أنها طلقت منه وكان عمرها خمسة وعشرين عاما ، تقدم لها الكثيرون يطلبون الزواج منها ولكنها رفضت ذلك ، وتفرغت لتجارتها العريضة ، ومرت الأيام واستأجرت (محمد بن عبد الله) ليدبر لها أمور تجارتها فى رحلتى الصيف والشتاء .. رحلة الشام واليمن ، وذهب محمد الى تلك الرحلة مع عبدها (ميسرة) .. ونجح محمد فى أمور التجارة .. وربحت خديجة أرباحا كثيرة كان محمد قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وجاء ميسرة من الرحلة يقص على سيدته ما رأى من أحوال محمد وأمانته وقدرته على البيع والشراء رغم قلة تجربته فى أمور التجارة ،

وعرفت خديجة عن محمد الكثير .. فهي تعرف أن قومه يسمونه (الأمين) وتعرف أنه عزوف عن لهو مكة وعبثها .. وتعرف عنه أيضا أنه دائم الصمت والتفكير ، وأنه لم يسجد لصنم قط .. كما سمعت من ميسرة ، أن محمدا في طريق الرحلة دائم التأمل ، وعندما يشند الحر يرى كأن غمامة من السحاب نطله وتقيه الحر ، وهفت نفس خديجة الى هذا الشاب القوى الوسيم الأمين .. انه عندما يكلمها في أمور تجارتها لا يرفع عينيه اليها ، ولكن كيف تكلمه في أمر زواجها منه ، وهى تكبره بخمسة عشر عاما !

وقررت أن تتحدث في أمر الزواج من محمد .. أرسلت اليه إحدى صديقاتها (نفيسة بنت منبه) ، وعرضت عليه الزواج من خديجة فوافق محمد عن طيب خاطر ، وذهبت نفيسة الى خديجة تخبرها بقبول محمد ، فشعرت بالسعادة تفمرها وأرسلت اليه وقالت له :

« يا ابن عم قد رغبت فيك لقرايتى منك ، ومشفرك في قومك وامانتك فيهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، فاخطبنى من عمى عمرو بن أسد » .

ذهب محمد الى أعمامه يخبرهم بما استقر عزمه عليه ، وبارك أعمامه تلك الخطوة ، وذهب معه عمه حمزة بن عبد المطلب الى عمرو ابن أسد فخطبها اليه فقبل ، ورأت خديجة أن تذبح شاة ويدعى اليها عمها ومحمد وأعمامه ، وجاء مع محمد : أبو طالب ، وحمزة ، ورؤساء مضر .. وأكلوا ، واستمعوا الى أبى طالب وهو يقول :

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم زرع اسماعيل وضئىء (أصل) معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وشوكة حرمة وجعل لنا بيتا محفوظا ، وحرما آمنا وجعلنا الحسكام على الناس ثم أن ابن أخى هذا محمدا بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح ، وأن كان فى المال قل ، فالمال ظل زائل .. وأمر حائل .. ومحمد ممن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا من مالى ، وهو والله يعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم » ..

وتكلم ورقة بن نوفل قائلا :

« الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرنا ، وفضلنا على ما عدت
نحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة
فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبتنا في
الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد
زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار
وسكت ورقة ، وقال أبو طالب :

— أحببت أن يشركك عمها .

فقال عمها :

— اشهدوا على يا معاشر قريش انى قد انكحت محمد بن عبد الله
خديجة بنت خويلد .

وشهد على ذلك كبار قريش .

هذا وقد كان زواج محمد من خديجة بعد قدومه من رحلة الشام
بشهرين ، وعدة أيام .

ويمضى شباب رسول الله نقيًا طاهرا ، يعمل في التجارة ..
ويكثر من التأمل ، ويعيش حياته بعيدا عن المفاصد المتفشية في
مجتمع مكة .. يحب مكارم الأخلاق ، ويبتعد عن مواطن الخطأ
وعندما أقامت قرش حلف الفضول لرد المظالم عن الناس بمقتضاه
يكون الناس مع المظلوم حتى يسترد حقه كان محمد يشعر بالراحة ،
والسعادة حتى قد ورد عنه قوله فيها بعد :

— شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به في
الاسلام لأجبت .

.. وتمضى الأيام .. وروح محمد من كثرة التأمل قد اضاءها
نور البصيرة ، أن يقترب من سن الأربعين ، وقد آن الأوان لنزول

عليه أخطر رسالة يوكل بها نبي . انها رسالة الاسلام . لقد هياه
الله لحمل هذه الرسالة العظمى .

تلك الرسالة النى سوف نغمر انوارها العقول والقلوب ، والتي
سوف تقلب مجتمع قريش رأسا على عقب ، ثم تستطيع أن تغير
معالم الحياة لا في الجزيرة العربية وحدها ، بل في جميع أنحاء
العالم . . حيث ستتغير قيم لا بد لها أن تتغير ، وتنتهى حضارات
كان لابد لها أن تنتهى بعد أن تهرأت وشاخت وما عادت لديها
القدرة على العيش في ظل دعوة محمد عليه الصلاة والسلام وما فيها
من قوة ونور ، وكان نزول الوحي على الرسول بداية لعصر جديد .
وحياة جديدة ، وحضارة جديدة ، وإنسان جديد .

الرسالة

عندما بلغ محمد الأربعين من عمره كان مهيباً لحمل رسالة السماء ، وقد كان من عادته أن يذهب شهراً كل عام الى غار حراء متأهلاً مفكراً ، وبينما هو في الغار ، وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٦١٠ م . نزل عليه جبريل عليه السلام ، وكانت أول آيات القرآن الكريم .

« اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

ويعود محمد الى منزله خائفاً واجفاً ، يقص على خديجة ما حدث له فتقول له :

« ابشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده انى لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة ، والله لن يخزيك الله أبداً ، انك لتتصل الرحم ، وتصديق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر » .

وتذهب الى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان يحفظ الانجيل لانه كان هلى النصرانية ، وتحدثه عما حدث لمحمد فيقول لها :

— « قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده ان كنت صدقتنى يا خديجة فان ما رآه محمد فى غار حراء ، انما كان الناموس الاكبر

الذى نزل على موسى وعيسى من قبل ، وان محمداً لهو نبي آخر الدهر ، والذي ورد اسمه في التوراة والانجيل ، وانه سيقوم ببلاغ رسالة الله جل وعلا ، وسيلقى من قومه وعشيرته الايذاء والتكذيب ، وسيخرجونه ومن معه من ديارهم ، ثم يقاتل الذين كفروا ، ثم يأتيه الله النصر والفتح فاذهبي وقولي له فليثبت .

تمضي ايام ، والوحى لا ينزل ، ويساور محمداً قلق عظيم وتقول له خديجة :

— لعل ربك قد قلاك .

فتزيد همومه وقلقه ، ولكن سرعان ما ينزل وحى السماء « والضحي والليل اذا سجي ، ما ودعك ربك وما قلى ، ولا الآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما فاوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى ، فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك فحدث » .

ورفع محمد بصره الى السماء :

« لك الحمد اللهم ولك الشكر على آلائك ونعمائك » غير انه عاد الى البيت يهزه الخوف ، وترجف أوصاله وهو يقول لزوجته : « دثرونى .. دثرونى » .

وجاء وحى الله :

« يا أيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » ولكن ينذر من ؟

سؤال راود محمداً عليه الصلاة والسلام ، وجاء وحى السماء

« وانذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » ، وقوله « وقل انى انا النذير المبين » .

واسلمت خديجة ، واسلم على بن ابي طالب ، واسلم مولاة زيد ، ثم دعا صديقه ابا بكر فاسلم ، وتابع ابو بكر عثمان بن عفان

وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام . وبعد ذلك أسلم أبو عبيدة ابن الجراح ومطاطبة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد ، وأسماء وعائشة أولاد أبي بكر ، وغيرهم من المسلمين والمسلمات .

وكان على محمد عليه الصلاة والسلام أن يعلن الدعوة ، فخرج إلى قريش على جبل الصفا ، والتفت حوله قبائل قريش ، قال لهم النبي :

— هل عرفتم عنى كذبا أو بهتانا ؟

— لم نعرف عنك كذبا أو بهتانا ؟

فقال محمد :

— لو قاتل لكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن نفر عليكم أكنتم مصدتي ؟ .

قالوا : نعم .

قال : اذن فاسمعوا جميعا ، فانى نذير لكم يا بنى عبد المطلب ، يا بنى مخزوم ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة ، يا بنى تميم ، يا بنى أسد . لقد أمرنى الله ربي وربكم أن أنذركم ، فأنتم عشيرتى الأقربون ، وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا ، الا أن تشهدوا معى أن لا اله الا الله .

ظهر الوجوم على الوجوه ، وارتسمت عليها الدهشة . ان هذه الدعوة خطيرة للغاية ، انها الزلزال الذى يهز الجزيرة العربية والعالم من الأعماق ، انها دعوة تسفه عادات القوم وتقاليدهم ، انها ستغير المجتمع كله تغييرا جذريا ، وفطن أبو لهب لخطورة دعوة محمد عليه السلام ، وحاول الاستهانة بها قائلا له :

— الهذا دعوتنا .. ويليك .. !

ويتسع الجدل في مجتمع مكة ، ويفطن سادة قريش الى خطورة هذه الدعوة التي تساوى بين السادة والعبيد . وان معايير كثيرة ستتغير ، وأن ربحا جديدة نهب توقظ النائمين ، ان التاريخ يقرع أبواب عالم جديد ، عالم يحس فيه الفقراء بأن لهم كيانا ووجودا ، ويشعر فيه الضعيف أن حقه لا يذهب سدى .. ويشعر العبيد بأن ليلهم الطويل أوشك فجره على البزوغ ، ، ففى تعاليم الدين الجديد ما يمكن من القضاء على عبوديتهم فالجميع أمام الله سواء ، لا فرق بين السيد والعبد الا العمل الصالح ، الا السلوك .. اهتز مجتمع قريش بعنف ، وابتدأ الاضطهاد ، وابتدأت الهجرة الى الحبشة وأرسلت قريش في أعقاب المهاجرين من يوغل صدر النجاشي ملك الحبشة عليهم ، ولعل ذلك الحوار الرائع الذى دار بين المؤمنين المهاجرين بدينهم وبين النجاشي ، يعطى صورة مبهرة عن الدين الجديد ، الذى كان يفضل المؤمن به الموت على الحياة ، كما خلق فيهم وعيا جديدا ، وفكرا عميقا ينمو على الدوام .

يجتمع النجاشي بالمسلمين المهاجرين ويسألهم :

— ما هو دينكم الذى فررتم به ، ولماذا لا ندخلوا دينى وكان النجاشي مسيحيا ؟..

ويقف جعفر بن أبى طالب . أن فى حديثه وضوحا وتوضيحا للانقلاب الهائل الذى أحدثه الاسلام فى عقول معتنقيه قال :

— يا أيها الملك ، كنا قوما اهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الى الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونترك ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، نهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وبالصلاة والزكاة والصيام فصعدنا ، وآمننا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، لا نشرك به

شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا
تومنا فمعدوبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان ، فلما
تهرونا وظلمونا وحالوا بيتنا وبين ديننا خرجنا الى بلادك ، ورغبنا
في جوارك ورجونا الا نظلم عندك » .

— قال النجاشي : هل تحفظ شيئا تقرأه على من الكتاب المنزل
على نبيكم ؟

تلا جعفر سورة مريم من اولها الى هذه الآيات :

« فأنشأت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، قال
انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما
كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرأ بوالدتي ولم
يجعلنى جبارا ثقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حيا » .

فقال النجاشي : هذه الكلمات تصدر من نفس المتبع الذى صدرت
منه كلمات سيدنا يسوع المسيح ، والله لن أسلمهم الى أيدي
الاضطهاد .

وتضى الايام ورسول الله ماض فى دعوته ، غير مكترث
بالاضطهاد والتكيل بالمسلمين ، ولم يزد تعذيب مكة للمؤمنين
بالاسلام الا استمساكا بهذا الدين الحنيف ، وتثقف السيدة خديجة
مع زوجها تنفق من أموالها بسخاء على الدعوة ، وزادت مكة من
اضطهاد المسلمين ، ولما عجزوا عن اقناع أبى طالب بالوقوف عن
مساعدة محمد قررت مكة مقاطعة المسلمين وبنى هاشم ، بحيث
لا يتعاملون معهم ، ولا يتزوجون منهم .. كما أخرجوهم من مكة الى
شعب فى الجبال .. وفرضوا عليهم حصارا اقتصاديا بالغ القسوة
والعنف ، . وقد استمر هذا الحصار لمدة ثلاث سنوات بعد البعثة
بحوالى سبع سنين ..

ومرضت خديجة . ، وعندما فك الحصار عن المسلمين ..
بعدها بأيام ماتت خديجة .. لقد عاشت مع الرسول الكريم خمسة

وعشرين عاما منهم عشرة بعد البعثة ، وأنجبت للرسول القاسم
وعبد الله وقد ماتا في طفولتهما .. كما أنجبت له زينب ورقية
وأم كلثوم وفاطمة ... وكل هؤلاء توفين في حياة الرسول ماعدا
فاطمة التي توفيت بعده بستة أشهر .

وحزن الرسول عليه الصلاة والسلام لوفاتها حزنا شديدا لقد كانت
ربقة عمره .. شاركته أفراح الحياة وأحزانها ، وتحملت معه
ما تحمل هو من أهوال قريش وهو يؤدي رسالة الله .. وها هو
اليوم قد وقف وحده في الميدان .. بعد أن ماتت زوجته خديجة ..

ومات أيضا عمه أبو طالب الذي رعاه صغيرا وحماه عندما أخذ
ينشر راية التوحيد .. لقد بلغ الحزن بمحمد عليه الصلاة والسلام
مداه ، وسمى هذا العام عام الحزن .

محمد صلى الله عليه وسلم في الطائف

ماتت خبيجة ..

ومات عمه ابو طالب ..

وشعر الرسول بالحزن العميق وزاد اضطهاد مكة له .. وفكر الرسول .. وقرر أن يذهب الى الطائف لعل الناس هناك يؤمنون به فترداد دعوته بهم قوة .. انه يذهب الى الطائف مع مولاه زيد ابن حارثة .. كان ذلك في شهر شوال سنة عشر من البعثة .. لقد تمادت قريش في عداوتها للرسول الكريم .. فأخذ سفهاؤها يلقون عليه التراب والروث وهو صابر لأمر ربه .. ان ابنته فاطمة ترى ما يفعله هؤلاء السفهاء بسيد البشر ، فتتقدم اليه حانية تزيل عن رداء والدها التراب والأوساخ .. ولكنه يقول لها بكل الايمان والحب ..

« لا تحزنى يا بنية فان الله مانع اباك » .

ويتوجه الرسول الى الطائف لعله يجد هناك من ينصرونه بعد موت عمه وزيادة اضطهاد قريش له .

لقد قال عليه الصلاة والسلام والحزن يعتصر نفسه .

— « ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات ابو طالب » .

.. ويسافر الرسول الى الطائف ، ويبدا بمقابلة ثلاثة من
ساداتها ، كانوا ثلاثة من الاشقاء أبناء عمرو بن عمير . لعل
باسلامهم يقتدى بهم قومهم من بنى ثقيف ، ولكنهم نظروا اليه
بسخرية واستهزاء قائلين له :

— ألم يجد الله غيرك يرسله ؟

ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا سفهاءهم ليرموا الرسول بالحجارة
ولم يتركوه الا عندما اختفى خلف حائط بستان .. أخذ يجفف
دماءه ، وامتلات عيناه بالدموع ، وتوجه بكل كيانه نحو السماء .

اللهم اليك ائتكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على
الناس .

يا ارحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من
تكلمني ، الى بعيد ينجهمني .. ؟ أم الى عدو ملكته أمري ؟

ان لم يكن بك غضب على فلا ابالي .

ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له
الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ،
او يحل علي سخطك .

لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

.. ويرى صاحب البستان ما حل بمحمد فيمس العطف شفاف
قلبه فيأمر خادمه (عداس) أن يذهب بطبق من العنب للرسول ،
ويتقدم عداس الى محمد بطبق العنب ، ويتناوله محمد قائلا :
باسم الله ، ويدهش عداس ويسأل الرسول :

— هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد .

ويسأله الرسول عن دينه وعن البلد القادم منه :

ويقول الغلام : انا نصرانى من نينوى .

ويرد الرسول : من بلد الرجل الصالح يونس بن متى .

ويقول الغلام : وما الذى عرفك بيونس بن متى ؟

ويجيب الرسول : انه اُخى ، كان نبيا ، وانا نبى مثله .

وينحنى عداس يقبل رأس الرسول ويديه وقدميه ، ويعلم
اسلامه ..

ويعود الرسول العظيم الى مكة وقد عزم العزم ان يقابل القبائل عارضا الاسلام عليهم فى موسم الحج مثل ما فعل فى الطائف ، ولكن كيف يدخل قريشا وهى تتربص به ، لقد ارسل الرسول الى الأخنس بن شريق ليدخل فى جواره الى مكة ولم يكن قد أسلم بعد فرد عليه بأنه حليف والحليف لا يجير ، فبعث الرسول الى ابن عدى وقد مات هذا الرجل على دين قومه ليدخل مكة بجواره فوافق الرجل وتسلم بن عدى هو وأولاده ، وذهب الى البيت الحرام يعلن عدم تعرض أحد لحمد ودخل النبى عليه الصلاة والسلام الى مكة وذهب الى البيت الحرام وطاف به صلى ثم عاد الى منزله وحوله ابن عدى وأولاده .

الهجرة ومسار جديد للدعوة

ظل رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو الى الاسلام في مكة ثلاثة عشر عاما .. أسلم خلالها عدد كبير من الناس ، وفي نفس الوقت ظل عدد كبير من أهل مكة يزدادون صلفا وكفرا وجحودا ، ولاتى النبي الكريم ما لاقى من بطش هؤلاء السفهاء وكان لابد للدعوة أن تأخذ طريقا جديدا ، طريقا حاسما .. يقضى على رؤوس الكفر والضلال ، وينتشر نور الاسلام في كل مكان ، وأوحى الله الى رسوله بالهجرة الى يثرب ، وكان قد التقى ببعض أهلها في موسم الحج وآمنوا به ، وتأهب الرسول لهذه الرحلة الى يثرب مع الصديق ، وعلمت قريش أن الرسول يزمع الهجرة من قريش فعدبروا مكيدة قتل النبي ، ونام على بن أبى طالب في فراشه .. أما الذين حاصروا بيته فقد غشيهم النعاس ، وخرج الرسول عليه الصلاة والسلام وسطهم دون أن يدروا به ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة — تلك التي شهدت مولده ، وطفولته وشبابه ، وعاش فيها ، وله فيها ذكريات وذكريات .. لطالما شاهدها أماكنها للرسول مواقف ، ولكن ما الحيلة ؟ لا راد لمشئته الله .. انه ينظر اليها ويقول تلك الكلمات الرائعة البليغة :

« والله انك لأحب أرضي الله الى ، وانك لأحب أرضي الله الى الله . ولولا أن أهلك — أخرجوني — ما خرجت منك » .

قمة الحب البليغ للوطن .

لقد استيقظ الذين يريدون قتله فوجدوا عجا . . لقد غشيهم
النعاس جميعا ، ولم يشاهدوا اشرف مخلوق يخرج من بينهم
ولا يشعرون به ، وينزل الوحي على رسول الله .

— ((واذا يهكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) .

ويجن جنون قريش ، وتبعث في اثره من يقتنى اثره ، ويدخل
الرسول في غار حراء مع الصديق ، ويعشش العنكبوت على باب
الغار ، وتأتى حمامة ، وتحط على باب الغار ، ويأتى اهل مكة
بالقرب من الغار ، ويقول أبو بكر لصاحبه . .

— لو نظر أحدهم تحته لرآنا ويرد الرسول عليه الصلاة والسلام

— ما بالك باثنين الله ثالثهما .

ويمبر القرآن الكريم عن هذه الحادثة بأسلوبه المعجز .

((الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)) .

ونرجع قريش بجسر أذيال الخيبة والندم ، ويصل الرسول
الكريم الى المدينة ويؤاخى بين الأنصار والمهاجرين ، وتأخذ الدعوة
مسارا جديدا ، أن لها أن تنطلق ، فطوال تلك الفترة التى قضاها
الرسول في مكة كان يدعو الى الاسلام بالحسنى . بالموعظة
الحسنة ، وعذب المسلمون ، واضطهدوا ، ولم يرفعوا السيوف في
وجه جلاديهم ، وأن الوقت لتأخذ الدعوة مجالا آخر . فالاسلام
ينتشر بين القبائل لأنه دين الفطرة . دين بسيط لا تعقيد فيه .
مبادئ سامية لا يختلف حولها أحد . الاختلاف ليس على ما في الاسلام
من مبادئ وقيم ومثل عليا ، ولكن الخلاف لأن السادة وجدوا
خطرا في الدين الجديد ، ورأى فيه بعض المتزمتين انه يسفه عبادة
الأوثان الموروثة عن الأجداد ، ولكن دين التوحيد لن يقف في سبيل
انتشاره اليوم شيء — لن يقف مهبط الجناح ينلقى ضربات الأعداء .

بل سوف يواجه الظالمين .. سوف يقابل القوة بالقوة .. اذا كان هذا هو المنطق الذي تعرفه قريش ولا تعرف غيره ، ومن هنا فقد شرع الجهاد في سبيل الله .. لا عدوان على أحد ، ولكن دفاعا عن الدين أو دفاعا عنه ضد متزمتى الجاهلية :

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكفاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

ان شروق الاسلام ابتدا ينتشر ، وهاجت قريش وماجت وهي تعلم أن الرسول الكريم في المدينة قد نظم أمورها ، وان ثمرات كفاحه الطويل ابتدأت تظهر للعيان ، وان خطره قد ازداد . لم يعد بقدرتهم فرصة اية وصاية عليه ، ونور الاسلام الذي أخذ يشق طريقه الى القلوب . لم يعتنقه الناس رهبة من السيف ، فهو لم يرفع سيفاً يرغم أى انسان على اعتناقه مبادئه ، لسبب بسيط جداً أنه لا اكراه في الدين .. هكذا يأمرهم القرآن بذلك .

« لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الفى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » .

ان الاسلام وقد انتقل الى المدينة . سوف تتسع دائرة نشاطه ، ولكن هل يمكن لهذا الدين الجديد وهو ينتشر بهذه السرعة المذهلة . فيزيل الفوارق بين الناس ، ويسوى بين السادة والعبيد ويلغى الحواجز الطبيعية بين الناس ، هل يمكن له أن يسير على هذا المنوال دون أن يكيد له المنافقون ، والذين في قلوبهم مرض ؟ المنطق والواقع يقول لا .

فالمنافقون في كل العصور يقفون بالمرصاد لكل الأعمال العظيمة . .
اذن ستكون هناك فتن ومؤامرات ودسائس . . وستندلع حروب
مريرة قاسية . بين الحق والباطل . بين أصحاب النور ، وأنصار
الظلام ، واذن فلا بد أن يشرع القتال .

« قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد
مضت سنة الاولين . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله
لله . فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وان تولوا فاعلموا ان
الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » .

ولكن القرآن وهو يشرع الجهاد يضع قاعدة ذهبية . . هذه
القاعدة هي ان يحارب المسلمون ما دام لابد من الحرب ، ولكن
الحرب ليس بهدف الحرب ، ليس هدفه الدماء والضحايا والإتسلاء .
انه دائما يحب أغصان الزيتون ، انه دائما يبشر بالسلام .

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع
العليم » .

واذا كان لابد من القتال . فان القتال شرع حتى تعلو راية
التوحيد ، وراية التوحيد لن تعلو ببساطة ، فهناك دائما الحاقدون
والمنافقون ، والكارهون للنور .

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون » .

اذن . شرع الجهاد لدفاع المسلمين عن دينهم ، وحقوقهم ،
وليس لارغام أحد على الدخول فيه لأن القرآن يقر صراحة :

« انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين » . .

● « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .

لقد فر الرسول بدينه الى مكة اذن . تمهيدا لنشر نوره فى كل أرجاء العالم ، والرسول يعلم انه محاط بالأعداء . . وأن قريشا تترىص به . . فكان على الرسول أن يبعث سرايا ليعرف أخبار قريش ، وقام عليه الصلاة والسلام ليعترض قافلة لقريش كانت قادمة من الشام ، ولم يكن هذا الاعتراض عدوانا على قريش ، ولكنه يريد أن يأخذ بعض حقه وحق المهاجرين الذين هاجروا من مكة بلا مال ، ولا عتاد . لقد سلبهم مجتمع قريش كل شيء ، ونجا أبو سفيان بالقافلة . . ولكن صلف قريش وغرورها سول لها ضرورة الانتقام من المسلمين ، وكانت معارك الاسلام الكبرى التى غيرت مجرى الحياة فى مجتمع الجزيرة العربية كلها ، ثم المجتمع العالمى كله . !

معارك الإسلام الكبرى

لا شك أن هناك معارك فاصلة في التاريخ .

هذه المعارك ليست مجرد معارك عسكرية بين دولة ودولة ، أو فريق من الناس ضد فريق آخر — يظهر فيها المنتصر ، ويتبع مهيض الجناح بعدها المهزوم ، ثم تنسى مع الزمن ، ولكن هذه المعارك كانت حدا فاصلا بين عهد وعهد — بين صورة وصورة — على أثرها تغيرت خريطة الدنيا ، وبرزت ملامح حياة جديدة تركت بصماتها على دنيا الناس . لا في العصر الذي وقعت فيه فقط ، بل في عصور تالية من التاريخ .

ولقد خاض الرسول الكريم معارك كثيرة — قاد سبعة وعشرين زحفاً ، واشترك في معارك بنفسه ، وهي تسع معارك (بدر — أحد — الريسيع — الخندق ، قريظة ، خيبر — فتح مكة — حنين — الطائف) .

كما أنه أرسل سبعا وأربعين سرية (.. وإذا كان محمد عليه الصلاة والسلام يقود هذه المعارك ، فقد اتسم بالجرأة ، والشجاعة النادرة ، ومعرفة جو المعركة ، وما يحتم خوض هذه المعارك من سرية .. وكان هو قدوة حسنة لجنوده ، أو على حد تعبيره ^{١١} : "على ابن أبي طالب :

**« كنا اذا حمى الباس التقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون أحد أقرب منه الى العدو » .**

وطبعا لا يمكننا في هذا الخبر الصغير أن نستعرض كل معارك الرسول لأنها نتسع لجلدات ، ولكننا سنقف عند المعارك الفاصلة التي غيرت تاريخ الاسلام ، وأول هذه المواقع كانت معركة بدر الخالدة .

معركة بدر :

لقد كانت معركة بدر أول معركة في التاريخ الاسلامي . ولهذه المعركة أهمية كبرى — لأنه لو قدر لهذه المعركة أن يخسرها المسلمون لانتهى الاسلام الى الأبد ، وانتهت الدعوة في نفس الوقت !

نحن الآن في مدينة رسول الله — المدينة المنورة — آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار . بعد أن اضطر للهجرة من مكة الى المدينة — دفاعا عن نفسه ضد أذى مشركي مكة ، وما كان ينبغي أن يظل الاسلام في حالة دفاع دائمة عن النفس .. مجرد رد العدوان . كان لابد من اتباع استراتيجية جديدة — ليس الهدف منها العدوان ولكن إقامة دولة الاسلام ليبدأ الدين الجديد انتشاره ، وهذا كان يتطلب إيجاد قوة جديدة يحسب حسابها لأنه قد آن الأوان أن تأخذ الدعوة شكلا حاسما . بتصفية خصوم الاسلام ، والرد على عدوان الكافرين له ، فقد أذن الله لهم بالجهاد .. ومن هنا فقد فكر الرسول أن يشعر قريشا بأن تلزم حدودها وأنه قد آتت ساعة الانتقام ، فكان أن أمر بأن يتصدى المسلمون لقافلة لقريش كانت قادمة من الشام يقودها أبو سفيان ، وعلم أبو سفيان بذلك وتمكن من الهرب ، ولكن قريشا تابى إلا أن تهاجم محمدا في المدينة ، وتلقنه دراسا يعلم بعده قوة قريش ! انها تبعث بجيش جرار قوامه ألف فارس ومعها نساؤها وخيلاؤها ، ولم يكن المسلمون الذين أخذوا موقعهم عند بئر بدر سوى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا .. قوتان غير متكافئتين . قوة هائلة أمام قلة من المسلمين ليس لهم من عتاد وسلاح يتناسب مع سلاح العدو ، مما جعل النبي عليه الصلاة والسلام يتجه ببصره الى السماء يطلب العون .

«اللهم انهم حفاة فاجملهم ، اللهم انهم عراة فاكسهم ، اللهم انهم جياع فاشبعهم» .

وسال الرسول اصحابه الراى . ان عدوهم يملك ما لا يملكون . ويرد المقداد بن عمرو :

« يا رسول الله ، امض لما امرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون ، ما دامت منا عين تطرف ، فوالله الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد (بلد فى الحبشة) لسرنا معك » .

ويقول سعد بن معاذ الانصارى :

« يا رسول الله قد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الانصار ترى عليهم الا ينصروك فى ديارهم ، وانى أقول عن الانصار واجيب عنهم ، فامض حيث شئت ، وصل جبل من شئت ، واقطع جبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت كان أحب الينا أخذه مما تركت ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى عدونا غدا ، وانا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر على بركة الله » .

هنا يقول الرسول الكريم :

« سبروا وابشروا بان الله قد وعدنى احدى الطائفتين العسرى او التفرير . فوالله لكاننى أنظر الى مصارع القوم » .

وفى أول المعركة اقترح سعد بن معاذ أن يبنى للنبي عريشا . يقود من خلاله المعركة ووافق الرسول . وابتدأت المعركة الرهيبة .

خرج من صفوف المشركين ثلاثة من محترفي القتال وهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة طالبين المبارزة فخرج لهم على بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وقتل المشركون الثلاثة ، وارتفعت صيحات التكبير في صفوف جيش المسلمين .

ودارت معركة رهيبة . وفي أثنائها توجه النبي الى السماء .

((اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولاك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض)) .

ويقول الرسول أيضا :

((والذي نفس محمد بيده (بيد الله) لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة)) .

وتحتمد المعركة ، ويتساقط قتلى المشركين . وتدور الدائرة عليهم ، ويقتل أبو جهل . ويفر المشركون هاربين ويوصى الرسول الكريم بمعاملة الأسرى معاملة كريمة !

وكانت هذه المعركة بداية لانتصارات اسلامية متتالية .. بعدها استقر الاسلام وانتشر ، وكان كل يوم يزحف نحو مساحات جديدة ، ويفزو قلوبا جديدة . الى أن دخلت الجزيرة العربية كلها في الاسلام .

غزوة الخندق :

هذه الغزوة من أهم الغزوات التي تعرض لها المسلمون . كان موقفهم فيها موقف الدفاع . بينما كان الهجوم مكونا من جيش ضخم

قوامه عشرة آلاف مقاتل من قريش وقبائل بنى النضير وغطفان وأشجع وأسد وسليم ، وقد لعب اليهود دورا كبيرا في تأليب القبائل على الرسول عليه الصلاة والسلام في محاولة للقضاء على هذه الدعوة التي ينادى بها الرسول الكريم .

زحفت كل هذه القبائل بسلاحها الرهيب ، وعتادها الضخم بقيادة أبى سفيان ومعه خالد بن الوليد على رأس الفرسان . ان خالدا يأمل أن يهزم المسلمين ويحذف هذا الجيش الضخم تجاه مدينة رسول الله . ويعلم الرسول بهذا الزحف ويعد له العدة بان يحفر خندقا حول المدينة بعد أن اقترح ذلك سلمان الفارسي . وحاول بعض ضعاف النفوس التسلل هاربين الى بيوتهم . وهنا نزل قوله تعالى :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه . ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » .

ويتهجه هذا الجيش للملاقاة المسلمين ويفاجأ بالخندق ، ولم يكن العرب قد عرفوا هذه الوسيلة من قبل في الدفاع . . حاولوا التسلل ولكن المسلمين ردوهم على أعقابهم ، وكانت من عادة العرب في القتال أن يبدأوا الحرب بالمبارزة . وهنا انبرى عمرو بن ود وكان فارسا شجاعا يتحدى أحدا من المسلمين لمبارزته ، وهنا وقف على ابن أبى طالب يتحداه والرسول يمنعه . وللمرة الثالثة يصيح عمرو ابن ود متحديا المسلمين .

لقد بحثت من النداء بجمعكم هل من مقاتل .

ووقفت اذ جبن المشجع وثقة الرجل المناجز .

وكذلك انى لم ازل متسرعا قبل الهزائر .
ان الشجاعة فى الفتى والجود من خير الفرائز .
ورد عليه على بن أبى طالب :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
انى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
واتجه نبينا عليه الصلاة والسلام ببصره الى السماء وقال :

« الهى اخذت عبيدة منى يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، وهذا على
أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين . اللهم
أعنه عليه » .

وتقدم على من خصه العنيد فقال له عمرو
— لم يا بن أخى . فوالله ما أحب أن أقتلك
ورد على :

— ولكنى والله أحب أن أقتلك

ودارت معركة رهيبة استطاع على أن يقتل عمرو بن ود وكبر
المسلمون . وعند عودة على سأله الرسول :

— كيف وجدت نفسك معه يا على ؟

— قال على وجدته لو كان أهل المدينة كلهم فى جانب وأنا فى
جانب لقدرت عليهم .

ودارت معركة رهيبة في اليوم التالي عندما تسلس فريق من المشركين مقتحمين الخندق . ظل القتال دائرا من الصباح حتى العشاء ، واستمر القتال في الليل ، وثمن المسلمون هجوما مضادا على هذه الفرقة التي تسلكت بقيادة خالد بن الوليد اضطر بعدها الى العودة حيث جيوش المشركين .

واشتد حصار المشركين للمدينة . ويئس المشركون ، وذهب كيد اليهود . . لقد هبت ريح عاصفة عاتية . اقتلعت خيام العدو وفر مذعورا .

وكان لابد للنبي عليه الصلاة والسلام أن يسوى حسايه مع يهود المدينة الذين تأمروا عليه ، وخضع اليهود لشروط النبي ، وأرسل أبو سفيان رسالة للنبي يقول فيها .

— باسمك اللهم ، غائى أحلف باللات والعزى ، واستاف وفائل وهبل ، لقد سرت اليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود اليك ابدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت لقائنا واعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها ، وانما كانت تعرف رماحها وسيوفها ، وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد .

ويرد عليه الرسول عليه الصلاة والسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى صخر بن حرب . أما بعد . فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور . أما ذكرت أنك سرت الينا ولا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى وأسافا ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك يا سفيه بنى غالب » .

ويعبر القرآن الكريم من هذه الأحداث بقوله المعجز :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ،

اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا اهل
الكتاب لا مقام لكم مع رسولنا ، ويستأذن — فريق منهم — النبي
يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا » الى آخر الآيات
الكريمة .

لقد كانت هذه المعركة من أخطر المعارك الاسلامية ، وكانت
بمثابة بشائر النصر . . فقد انتشر الاسلام بعدها . . ودخل الرسول
العظيم مكة . . واتخذت الدعوة مسارها الصاعد ، فازيلت الأصنام
بعد أن حطمت من البيت الحرام ، ودخل الناس في دين الله
افواجا .

تَسَاءُ النَّبِيِّ

(صلى الله عليه وسلم)

كان محمد عليه الصلاة والسلام مثالا للانسان الكامل . الانسان المتواضع . الضعيف . الذى يخفض جناحه للمؤمنين — كان رحيمًا بالناس . عطوفًا عليهم . . فهو القائل :

• الراحمون يرحمهم الرحمن •

• من لا يرحم لا يرحم •

• من يسر على معسر فى الدنيا ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة •

« ومن يقرأ مأمراً بحياته عليه الصلاة والسلام من أحداث . يرى الانسان المتواضع الى أقصى درجات التواضع . نرى ذلك فى هذه الحكاية المشهورة عندما يدخل عليه أحد الناس ، وقد تملكه الخوف من قوة شخصية الرسول . فاذا بالرسول يربت على كتفه قائلاً كلمته الخالدة .

« هون عليك . فان امى كانت تأكل القديد بمكة » •

ومن يقرأ قصة الاعرابى الذى جاء الى محمد عليه الصلاة والسلام وقلبه ممتلىء غيظاً وحقدًا عليه لأنه يسب آلهة قريش ،

ولكنه يذوب خجلاً امام ابتسامة النبي وحنوه العظيم .. فاذا به وهو القادم للانتقام من الرسول ينحنى ليقبل يدي الرسول وقدميه ويقول له :

« يا محمد . والله لقد سعت اليك وما على وجه الأرض أبغض الى منك ، واني لذا هب الآن عنك ، وما على وجه الأرض أحب الى منك » .

ويروى لنا التاريخ أيضاً كيف استقبل الرسول عليه الصلاة والسلام وهو في المدينة سيدة عجوزاً فيفرش لها بردته ويقال لها بترحاب شديد ، وعندما تسأله عائشة عن حفاوته بها يقول لها :

« انها كانت تزورنا أيام خديجة » .

حياته عليه الصلاة والسلام كلها مودة وحب واخاء وايثار .. لم يتنكر لبشريته ، وما كان يغضب الا الله .. أما غير ذلك فهو الانسان الذي يمشي في الأسواق ، ويعيش عيشة الناس العاديين ، فهو الذي كان يدعمو ربه .

— اللهم اجعل قوت آل محمد كفاً

لم يطلب الثراء ، ولم يعيش عيشة سلطان أو حاكم ، انما هو واحد من الناس .

وهذا هو سر عظمة محمد عليه الصلاة والسلام . تلك العظمة التي فاقت كل مناسيب العظمة البشرية .. انه كما يقول القرآن الكريم .

« انما انا بشر مثلكم »

ومن هنا فقد تزوج ، وأخذ من الحياة في حدود شرعت له وحده عليه الصلاة والسلام .. كان زواجه من أمهات المؤمنين بوحى

من الله تعالى ، فقد كان زواجه عليه الصلاة والسلام من نسائه لأسباب عديدة .. ليس فيها بالطبع شغفه بالنساء كما قال بعض المستشرقين في افتراءاتهم عليه .. فقد كان قدوة للمسلمين .

((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

.. هناك ظروف دعت الرسول أن يتزوج أكثر من أربعة بينما أبيع لباقي المسلمين ألا يسعدو الأربعة لقوله تعالى :

((فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة)) .

.. لقد كان زواج النبي ، وهو الذي لم يتزوج في عنقوان شبابه إلا خديجة ، وظل معها ، لم يتزوج عليها طوال حياتها .. الى أن ذهبت الى رحاب الله .. قضت معه خمسا وعشرين عاما ، منها خمسة عشر قبل النبوة وعشر بعدها ، أى أن الرسول عندما تزوج زوجاته كان قد تجاوز الخمسين من عمره ، وهى السن التى لا يكون الزواج فيها بسبب الشهوة ..

لقد كان زواج الرسول كما قلنا بوحى من الله .

((ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له)) والله سبحانه وتعالى يقول ايضا :

((يا أيها النبي انا اعلانا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما آفأ الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك ، وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين)) .

وبعد أن فتح الرسول مكة ، وانتشر دين الله ، ودخل الناس فيه أفواجا . هنا استنفدت حكمة تعدد الأزواج للنبي أغراضها .. نزل قوله تعالى :

« لايجل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا » .

كانت خديجة هي أول زوجاته عليه الصلاة والسلام .. وكانت أول من آمن به عليه الصلاة والسلام ، وقد تزوجته وكانت في الأربعين من عمرها ، وكان هو في الخامسة والعشرين من عمره عندما وثقت في أمانته وخلقه وشخصيته .. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يذكرها دائما ، ولا ينس تلك العشرة الطويلة معها ، وكفاحها بجانبه في أشد الظروف التي مر بها عليه الصلاة والسلام وهو يدعو الناس الى دين الله .. حتى أن عائشة رضى الله عنها كانت تملكها الغيرة عندما تذكر خديجة .. لقد قالت للرسول مرة :

— ما تذكر من عجز هلك في الهالكين فأبدلك الله خيرا منها .
ما كانت عائشة تقول هذا حتى ظهر الغضب على وجه الرسول الكريم وقال لعائشة :

— والله ما أبدلتني الله خيرا منها ، آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بماله إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » .

● الزوجة الثانية : سودة بنت زمعة .. كانت زوجة السكران ابن عمرو أحد أصحاب رسول الله الذي هاجر الى الحبشة وعندما مات وتركها وحيدة ، وكانت سيدة عجوزا ليس فيها جمال يغرى الرجل ، لقد تزوجها الرسول اكراما لزوجها الذي هاجر مع الرعيل الأول من المهاجرين الى الحبشة وكانت زوجته خديجة قد توفيت في العام السابع بعد البعثة ورأى النبي في زواجه من سودة بنت زمعة

أيضا من ترعى بنتيه « أم كلثوم وفاطمة » .. وقد ظلت معه عليه الصلاة والسلام في مكة ، وهاجرت الى المدينة معه .

وقد توفيت رضى الله عنها في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

● **الزوجة الثالثة :** عائشة بنت أبى بكر ، وقد خطبها الرسول وكانت في العاشرة من عمرها ، ولم يدخل بها الا في الثانية عشرة من عمرها ، وقد تزوجها ليوطد الصداقة بينه وبين أبى بكر الصديق ، فقد كان الرسول يحب الصديق حبا كبيرا .. ويكنى أن تعرف أن أبا بكر الصديق أنفق خمسة وعشرين ألف دينار ، وحرر من هذا المبلغ كثيرا من العبيد ، وعندما هاجر الى المدينة كان يحمل معه خمسة آلاف دينار .

لقد كانت عائشة من أحب نساء النبى الى قلبه ، ومع ذلك فقد تعرضت للاشاعات الآثمة ، أو حادثة الأفك كما يروونها لنا التاريخ، وكان الذى روج لهذه الحادثة رأس المنافقين في المدينة « عبد الله ابن أبى بن سلول » .. والذى أخذ ينشر هذه الاشاعة الكاذبة حتى وصلت الى أذن الرسول وإلى أذن أبى بكر الصديق .. وملخص هذه الحادثة أن الرسول اصطحب معه في غزوة « بنى المصطلق » عائشة ، وبعد انتصار المسلمين بها حطوا رجالهم بالصحراء للراحة ، وذهبت عائشة لقضاء حاجتها بعيدا في الصحراء ، وعندما عادت الى مكانها وجدت أن عقدها ليس في صدرها ، فعادت الى المكان لتبحث عنه ، وكان الجيش قد بدأ بالعودة ، وحمل الجنود هودجها ولم يفتنوا أنها لم تكن به ، وعادت عائشة مذعورة عندما لم تجد أحدا من جنود المسلمين ، فأثرت أن تظل مكانها يقينا منها بأنهم سوف يعودون اليها عندما لا يجدونها في هودجها ، وكان متخلفا عن جيش المسلمين واحد منهم يسمى « صفوان بن المعطل » على أمل أن يجد شيئا قد تركه الجنود .. فلما رأى عائشة عرفها، وأركبها بعيره ، وأخذ هو بزمام البعير حتى وصلت الى المدينة ، والقصة عادية ولكن المنافق «عبد الله ابن أبى بن سلول» أخذ يشيع أنها كانت على علاقة بهذا الرجل ، انتشر الخبر بين الناس . استعاذ منه المسلمون ، وفرح المنافقون .. الى أن وصل الى أذان النبى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك أبو بكر .

وتحكى عائشة أحداث هذه القصة فتقول :

« قمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلى : فلمست صدرى فإذا عقد لى قد انقطع ، فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوننى فاحتلوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أنى عليه ، ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها منهم داء ولا مجيب ، فبيمت منزلى فغلبتنى عينى فتمت ، وكان صفوان ابن المعطل السلمى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد انسان فائم فعرفنى حين رآنى ، وكان رآنى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ، فخرت وجهى بجلبابى ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فمتمت اليها فركبتها فأنطلق يقود بى الراحلة » .

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن زوجته بريئة مما اتهمها به هذا المنافق ، حتى أنه قام فخطب الناس فقال :

« يا أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق . والله ما علمت منهم الا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل ما علمت منه الا خيرا ، وما يدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى ؟

وكادت تحدث فتنة .

والرسول ينتظر .. وطال الانتظار ..

وسال الرسول أصحابه .. قال له أسامة بن زيد ان ما قيل عنها افتراءات ، بينما قال على بن أبى طالب للرسول :

— يا رسول الله • النساء كثيرات وانك لقادر على أن تستخلف
وسل الجارية فانها ستصدقك •

ويسال الرسول جارتها بريرة فتنفى عنها أى سوء • • كانت
عائشة فى بيت أبيها الصديق • يعترضها الألم والحزن والمرضى ،
ويذهب اليها الرسول قائلا :

((يا عائشة انه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فاتقى الله ،
وان كنت قد قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبى الى الله ، فان
الله يقبل التوبة من عباده)) •

فردت عليه عائشة :

— والله لا اتوب الى الله مما ذكرت ابدا ، فلئن قلت لكم انى
بريئة لا تصدقونى ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه
بريئة لتصدقن • فوالله لا أجد لى ولكم الا قول أبى يوسف عليه
السلام • • « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » •

ونزل الوحي يبرئ عائشة من فوق سبع سموات • • وخرج
الرسول الى المسجد يتلو على الناس قوله تعالى :

((ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل
هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره
منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين)) الى أن قال ((ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم ،
يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم ، ان الذين يحيون أن تشيع الفاحشة فى الذين
آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون)) •

وعادت عائشة الى بيت النبي ، وظلت معززة مكرمة ، الى ان لحق عليه الصلاة والسلام بالرقيق الأعلى في بيتها ، حيث دفن وكان عمره عليه الصلاة والسلام ٦٣ سنة وكان عمرها ٢٣ سنة .

الزوجة الرابعة كانت حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكان الغرض من هذا الزواج أن يوطد علاقته عليه الصلاة والسلام بعمر ابن الخطاب مثل أبي بكر الصديق .. وكانت حفصة متزوجة من الصحابي خنيس بن حذافة السهمي .. وكان من المهاجرين الى الحبشة واستشهد في موقعة بدر .. وعندما استشهد زوجها كانت هي في الثانية عشر من عمرها ، وكان عمر بن الخطاب يريد أن يزوجه أبا بكر الصديق ، أو عثمان بن عفان ، ولكنهما تمهلاه ، فذهب يشكو للرسول الذي ابتسم وقال له « تتزوج حفصة ممن هو خير من عثمان ويتزوج عثمان ممن هي خير من حفصة » .

وكانت حفصة تجيد القراءة والكتابة .. ذكية فصيحة وكانت حفصة أقرب النساء الى قلب عائشة .. وقد توفيت حفصة وهي في الستين من عمرها في خلافة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٥٤ هـ ، ودفنت في البقيع في مقبرة امهات المؤمنين .

● **الزوجة الخامسة : زينب بنت خزيمة « أم المساكين »** وكانت كبيرة في السن ، وكانت زوجة لأبن عم الرسول عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب .. وقد كان زوجها قد استشهد في معركة بدر ، وكان الرسول يرغب أن يكرم زوجة ابن عمه ، غير أنها توفيت بعد ثمانية أشهر من زواجها بالرسول عليه الصلاة والسلام ..

● **الزوجة السادسة كانت هند أم سلمة ،** وكانت من أولى المهاجرات الى الحبشة ، وكانت متزوجة من ابن عمها عبد الله ابن عبيد الأسد المخزومي ، وكان ابن عمه رسول الله « برة بنت عبد المطلب بن هاشم » وقد كان زوجها قد استشهد

على اثر جرح اصابه في معركة احد .. وقد كانت مكرمة عند الرسول وكانت آخر من ماتت من نساء الرسول .. لقد ماتت في سنة ٦٣ هـ في عهد يزيد بن معاوية ، ودفنت في البقيع .

● **الزوجة السابعة كانت زينب بنت جحش** .. وهى ابنة عمّة الرسول ، وكان قد زوجها عليه الصلاة والسلام لمولاه زيد بن حارثة ، وقد تزوجها الرسول بعد طلاقها من زوجها بوحي من الله سبحانه وتعالى « (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) » . وكان الرسول يحبها حتى ان عائشة كانت تقول :

« كانت زينب تساميني من بين أزواج النبي في المنزلة عند رسول الله » .

وكانت زينب تفاخر نساء النبي بانها قد تزوجت بأمر الله .. فكانت تقول لهن :

« أنا أكرمكن وليا ، وأكرمكن سفيرا . زوجكن أهلكن وزوجني الله من فوق سبع سموات » .

وقد اثار زواج زينب بنت جحش العديد من التهجم من المستشرقين واعداء الاسلام على النبي .. فزعموا أن محمداً قد رآها بعد أن تزوجها مولاه زيد بن حارثة فهام بها حبا وطلقها من زوجها وتزوجها ! ، هذه أكذوبة انساق لها للأسف بعض المؤرخين من أمثال الطبرى .. فلقد زوج النبي عليه الصلاة والسلام ابنة عمته زينب الى زيد ليلغى الفوارق بين الطبقات .. بين السادة والعبيد ، وكان الرسول يعرفها وهى تتدرج من الطفولة الى الصبا والشباب ، فلم تكن غريبة عن رسول الله .. وقد جاء زواجها من زيد بن حارثة لحكمة .. التشريع ، وكان الرسول يحب زيدا ، ولكن زينب لم تنس يوماً أنها شريفة قرشية ، وما أكثر ما لاقى زيد من صدها له .. وكلما كان يشكو للرسول ذلك ، كان الرسول يقول له :

« امسك عليك زوجك واتق الله » .

وكان الأمر الإلهي بزواج الرسول من زينب يحقق هدفين من أهداف التشريع الإسلامي :

١ — أن الرقيق الذي أعتق يمكن أن يتزوج من المرأة الحرة .. وأنه لا فرق بين عبد وسيد أمام الله إلا بالتقوى .

٢ — أن التشريع الإسلامي يوضح أن الابن المتبنى ليس كالابن الحقيقي ولا يعامل معاملته كما جرى العرف في الجاهلية ..

ومن هنا كان الأمر الإلهي بتزويج النبي الى زينب . وقد نفذ الرسول هذا الأمر عندما نزل قوله تعالى :

« واذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ، أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » .

ولاشك أن ماكتبه الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه « حياة محمد » ورده على الاتهامات التي قالها المستشرقون والمنافقون حول هذه القصة من الوضوح بمكان ، فهو يفند ادعاءاتهم بقوله :

« ويكفى لهدم كل القصة من أساسها ، أن نعلم أن زينب بنت جحش هذه ، هي ابنة عمه رسول الله عليه السلام ، وأنها رببت بعينه وعنايته . وأنه كان يعرفها ويعرف أهى ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيدا ، وأنه شهدا في نموها تحبوا من الطفولة الى الصبا ، الى الشباب ، وأنه هو الذى خطبها على زيد مولاه » .

ويتابع هيكل حديثه :

« أن زواج الرسول من زينب لم يدفعه اليه ميل ولا عاطفة ، وإنما يأتى بحكم الله فيها أبطل من الحقوق المقررة للتبنى والادعاء ، ثم أشفق مما يمكن أن يقول الناس في خرقه لعادة لهم قديمة متأصلة ،

فلم يرض له الله أن يخفى في نفسه ما الله مبدية ، ويخشى الناس
والله أحق أن يخشاه .

أفبقى بعد ذلك أثر لهذه الأقاصيص التي يكررها بعض
المستشرقين والمبشرين ؟ لكنها شهوة التبشير المكشوف تارة ،
والتبشير باسم العلم تارة أخرى . والخصومة القديمة للإسلام
تأصلت في النفوس منذ الحروب الصليبية ، هي التي تملى على
هؤلاء جميعا ما يكتبون ، وتجعلهم في أمر زواج النبی ، وفي أمر
زواجه من زينب بنت جحش ، يتجنون على التاريخ ، ويلتمسون
أضعف الرواية فيه مما دس عليه ونسب إليه » .

.. ولقد كانت السيدة زينب بنت جحش كريمة ، محبة للمساكين
.. ويكفى أن تعرف أنها كانت بجانب طاعتها لرسول الله ..
كانت كثرة الانفاق على المحتاجين ، حتى أنها تبرعت بكل نصيبها
من العطاء المخصص لها في زمن عمر بن الخطاب وكان قدره اثني
عشر ألف درهم الى فقراء المسلمين ، وقد توفيت السيدة زينب
في خلافة عمر بن الخطاب في سنة عشرين من الهجرة وهي في الثالثة
والخمسين من عمرها .. وبذلك كانت أول من لحقت برسول الله
عليه الصلاة والسلام .

● **الزوجة الثامنة : ريحانة بنت عمرو .. وهي يهودية وقد
وقعت في الأسر عقب هزيمة اليهود ، وكانت من نصيب النبي ،
ودعاها لله ورسوله ، ثم عزلها في بيت أم المنذر بنت قيس وقد دخل
الإسلام قلبها عندما استمعت الى الرسول يجيب على أسئلة بعض
المسيحيين واليهود ، فقد سألوه عن يؤمن بهم من الأنبياء .. فتلى
عليهم قوله تعالى :**

«(قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل الى إبراهيم ،
واسماعيل وإسحق ، ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ،
وما أوتى النبيون من ربهم ، لأفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)» .

.. لقد أعلنت إسلامها واعتنقها الرسول وتزوجها .

● **الزوجة التاسعة : جويرة بنت الحارث ..** أبوها من كبار زعماء اليهود وهو سيد بنى المصطلق ، وقد أسرت ، وأصبحت من نصيب ثابت بن قيس ، ولكنها هربت منه ولجأت الى الرسول وقالت له : يا رسول الله انا بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومي ، وقد أصابني من الأمر ما لم يخف عليك فوُعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسي وجئتك أستعينك على أمرى .

قال لها الرسول : فهل لك في خير من ذلك ؟

قالت : ما هو يا رسول الله ؟

قال الرسول : اقضى عنك كتابتك وأتزوجك .

قالت : نعم يا رسول الله .

قال : قد فعلت .

وعندما علموا بزواج الرسول منها ، أطلقوا سراح قومها على أساس أنهم أصبحوا أصهار الرسول ..

ولقد عاشت السيدة جويرة حتى عهد معاوية بن أبى سفيان ودفنت في البقيع .

الزوجة العاشرة : رسة بنت أبى سفيان .. بنت زعيم مكة **وقائد المشركين** (أبو سفيان بن حرب) .. وقد كانت متزوجة عبد الله بن جحش .. الذي أسلم وهاجر الى الحبشة ، غير أنه ارتد عن الاسلام ، وكانت قد أنجبت منه ابنته (حبيبة) وعز عليها أن يترك زوجها الاسلام ويعتنق النصرانية .. وعلم الرسول بمحنتها وهي في الحبشة فتزوجها وهي هناك .. وكان بذلك يعوضها عن محنتها فقد تزوجت خير البشر .. كما أن زواج الرسول منها يجعل قلب أبيها يرق قليلا .. وهذا ما حدث عندما أسلم أبو سفيان

فيما بعد . ولقد ظلت أم حبيبة في الحبشة ، إلى العام السابع الهجرى يوم فتح خيبر . وظلت في بيت رسول الله وتوفيت في عهد أخيها معاوية بن أبى سفيان في سنة ٤٤ هـ وقد عمرت ٦٧ عاما .

● **الزوجة الحادية عشرة كانت** (صفية بنت خيى بن أخطب . . أنها بنت زعيم اليهود حىى بن أخطب . وكان يريد الرسول بزواجه منها أن يكف اليهود عن عداوتهم له . . ليتفرغ لنشر الاسلام وقد ضايقها نساء النبى حتى أنها اشتكت له نصرهن معها وكان الرسول يقول لها أن تقول لهن :

— أنا ابنة نبى ، وابنة أخ نبى . . وزوج نبى والرسول يقصد أنها ننسب الى أبيها موسى ، وأخيه هارون ، وزوجها محمد عليه الصلاة والسلام .

وقد كانت نساء النبى يعرن منها . . وظلت صفية في بيت رسول الله ، وقد كانت تبعث الى عثمان بن عفان عندما حوَصر بالطعام لأنها كانت تجاوره ، وقد عاشت رضى الله عنها الى خلافة معاوية فقد توفيت في سنة خمسين هجرية ودفنت في البقيع مع أمهات المؤمنين .

● **الزوجة الثانية عشرة كانت مارية القبطية** ، وكانت مما ملكت يدها ، أرسلها المقوقس عظيم مصر هدية للرسول . . وقد كان أبوها مصرى واسمه شمعون ، وأمها يونانية وقد ولدت في قرية (حقن) . . وهى إحدى قرى محافظة المنيا . . ثم عملت كوصيفة للمقوقس . . وجاءت الى المدينة في السنة السابعة للهجرة ومعها أختها سيرين التى تزوجت الشاعر حسان بن ثابت . وقد عرض الرسول عليها الاسلام فأسلمت وتزوجها وأنجبت منه ابراهيم . . وكان الرسول فرحا سعيدا بانه ابراهيم . . فقد مات أولاده من قبل ولم يبق له الا فاطمة الزهراء ، وكان يحمله ويطوف به بيوت أمهات المؤمنين ، ولكن ابراهيم مرض بعد ستة عشر شهرا من مولده ، ومات في حجر والده العظيم ، وقد تفجرت مشاعر الرحمة بين حنايا النبى وهو يرى غلظة كبده يودع الحياة فيقول :

« تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول الا ما يرضى ربنا ،
وانا يا ابراهيم عليك لحزونون ، وانا لله وانا اليه راجعون » .

لقد دفن ابراهيم في البقيع ، ونصادف ان كسفت الشمس .

وقال الناس : ان الشمس انكسفت لموت ابراهيم وعندما بلغ
ذلك الرسول قال :

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت احد
ولا لحياته » .

ولقد مات الرسول بعد وفاة ابنه بشهور قليلة فقد توفي عليه
الصلاة والسلام في ربيع الأول من السنة الحادية عشر الهجرية .

ولقد حزنّت مارية على موت ابنها والرسول . . فكانت نجد سلواها
في زيارة قبرهما ، وماتت بعدهم بحوالى خمس سنوات في خلافة
عمر بن الخطاب ، وكانت في الثلاثين من عمرها .

● وكانت آخر نساء النبي ميمونة بنت الحارث . . وقد جاء
زواجها منه عليه الصلاة والسلام ، بعد ان دخل الرسول مكة بعد
صلح الحديبية لأداء فريضة الحج . . وقد أعجبت برة بنت الحارث
أخت أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس عم النبي بالرسول
وأرادت أن تسلم وتتنزّجه . . فقد وهبت نفسها للرسول . وما كان
من العباس الا أن أخبر النبي برغبتها فوافق النبي وأصدقها . .
درهم . ونزل فيها قوله تعالى :

« وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها
خالصة لك من دون المؤمنين » . .

وكانت برة أرملة في السادسة والعشرين من عمرها وقد أطلق
عليها الرسول اسم « ميمونة » تيمنا . . فقد حج البيت مع فريق
كبير من المؤمنين .

ولقد عاشت ميمونة في بيت رسول الله شأنها شأن باقى أمهات المؤمنين ، وعاشت بعد الرسول خمسين عاما . . وتوفيت وهى في الثمانين من عمرها في سنة ٦١ هجرية ودفنت في مكان يبعد عشرة أميال عن المدينة حسب وصيتها في مكان يطلق عليه اسم (سرف) حيث بنى بها الرسول الكريم .

وكانت هى آخر نساء النبى . فقد أمره سبحانه وتعالى بالكف عن الزواج والاكتفاء بما أحله الله له . . فقد نزل قوله تعالى :

((لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا)) .

وقد مات الرسول عن تسع زوجات هن أمهات المؤمنين ((سودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وهند أم سلمة ، وزينب بنت جحش ، وريحانة بنت عمرو ، ورسلة بنت أبى سفيان ، وصفية بنت حبي بن أخطب ، وميمونة بنت الحارث)) .



مما سبق نعرف أن الرسول الكريم تزوج خديجة بنت خويلد ومكث معها وحدها منذ تزوجها وهو في الخامسة والعشرين من عمره الى أن ماتت وكانت في حوالى الخمسين من عمرها ، وهو لم يتزوج بزواجه الا في فترات الحروب . وكان عمره بين الخامسة والخمسين والستين ، أى أنه تزوج باقى أمهات المؤمنين في مدى خمس سنوات ، وواضح أن هذا الزواج لم يكن بسبب المتعة أو الشهوة فقد كان عليه الصلاة والسلام تجاوز سن الشباب . وكانت حياته كلها معارك وكفاح في سبيل نشر دين الله . . وقد كان لزوجاه أسباب كثيرة كما سبق أن شرحنا فيها العطف أو الرحمة أو لظروف سياسية أو لغرض تشريع معين . .

. . لم يكن الرسول رجل شهوة . . فقد كان نهاره كله كفاح في سبيل الدعوة . . وكان معظم ليله يقضيه متعبدا .

« يا ايها المزمّل قم الليل الا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً وقوله : أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلاثة وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار » .

ورجل هذه حياته . . عبادة لله في الليل والنهار ، وجهاد في سبيل نشر الدعوة ، وسهر على راحة المسلمين وتوضيح مبادئ الدين لهم . . انه يعيش بالناس وللناس ، وقلبه متعلق بالله . . لا يمكن أن يكون زواجه للمتعة الجنسية ، انه كان ينفذ أوامر الله لحكمة عليا يعلمها الله كما شرحنا . . فقد كانت حياة الرسول العظيم قدوة ومثالاً لكل من يريد أن يسير في طريق تحفه الأنوار من كل جانب ، لأنه مثال الإنسان الكامل ، أو كما وصفه القرآن الكريم بأنه على خلق عظيم .

أيام الرسول الأخيرة

ما من مرة قرأت فيها شيئاً عن حياة الرسول إلا وتداعيت الى ذهني خطبة الوداع الخالدة .. وصرح خيالي الى تلك الأيام المجيدة ، أيام رسول الله ، وكيف حول ظلام الجزيرة العربية إلى نور ، غمر أنحاء الجزيرة في حياته ، وانطلق يعبر القارات بعد أن انتقل الى الرفيق الأعلى يبشر بالقيم العليا مما طالما أضناها بسيط الاستعمار ، وجثم على أنفاسها ألوان من العبودية والهوان ، وكانت تتطلع الى يوم الخلاص ..

لقد ذهب الرسول عليه الصلاة والسلام في الثامن من ذي الحجة الى منى ، وأقام خيامه ، وصلى فروض اليوم ، ثم قضى الليل حتى مطلع الفجر من يوم الحج ، واتجه الى جبل عرفات .

وصعد الجبل وحوله آلاف المسلمين ، وحمد الله وأثنى عليه وقال :

« ايها الناس ، اسمعوا قولي ، فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا .

ايها الناس ، اسمعوا قولي ، فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .

وانكم ستلقون ريكم فيسالكم عن اعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .

وان كل ربا مهدر ، ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون

قضى الله انه لا ربا . وان ربا عباس بن عبد المطلب مهذور كله .

وان كل دم كان في الجاهلية مهذور ، وان اول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

اما بعد . ايها الناس ، فان الشيطان قد وئس من ان يعبد بارضكم هذه ابدا ، ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى مما تحقرون من اعمالكم ، فاحذروه على دينكم

ايها الناس انما التسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحللوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم

وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مفرد بين جمادى وشعبان .

اما بعد ، ايها الناس . فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حق ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه ، وعليهن الا ياتين بفاحشة مبينة ، فان فعان فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان . ولا يمكن لانفسهن شيئا . وانكم انما اخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقوا ايها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا . . امرأ بينا : كتاب الله وسنة رسوله .

أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلموا ان كل مسلم اخ
للمسلم . وان المسلمين أخوة . فلا يحل لامرء من أخيه الا ما أعطاه
عن طيب نفس منه ، فلا تظلموا انفسكم
اللهم هل بلغت » .

و . . عندما أتم الرسول خطابه تلى قوله تعالى :
« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ، فلا تخشوهم واخشون
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا »

و . . وما كاد الرسول يقرأ هذه الآية حتى بكى عمر بن الخطاب
وساله الرسول :

— ما يبكيك يا عمر ؟

— أبكاني انا كنا في زيادة ، أما اذا اكمل فانه لا يكمل شيء
الا نقص .

— صدقت . .

لقد ساد الناس صمت . . ان هذه الآيات تنعى رسول الله . .

وانتقل الرسول العظيم الى الرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة
على اكمل وجه ، ويكفى أنه وحده جابه عالما ظالما قاسيا لايرحم ،
فحوله الى مجتمع له حضارة ، وله مثل عليا . . وله قيم يعيش
لها وبها ، وربط بين الأرض والسماء . . ان الانسان يعيش حياته
في ظل هذا الدين العظيم ، وهو يؤمن ايمانا عميقا بخالق الأرض
والسماء وما بينهما وما تحت الثرى . . وايمانه هذا يدفعه الى أن
يسلك مع نفسه ومع مجتمعه سلوكا مستثيرا ، ويدفع الفرد الى
التراحم مع أخيه . . فقد حدد هذا الدين العلاقات بين الأفراد
بعضهم مع بعض . . وبينهم وبين انفسهم ، وبينهم وبين الله . .

دين مثل هذا الدين العظيم لو تمسك به المؤمن ، وحافظ على
قيمه وتعاليمه فانه يعيش في راحة نفسية . الايمان يعمر قلبه ،
والرضا بتضاء الله وقدره يجعله يعيش بعيدا عن العقد والأمراض

النفسية .. وتمسكه بتعاليمه يضيف على المجتمع حياة مستقرة سعيدة .. فالغنى يعطى الفقير ، والفقير لا يحقد على الغنى طالما قد أخذ حقه .. وفي ظل هذه الروح العظيمة تتقدم المجتمعات ، وتأخذ حظا صاعدا نحو كل ما هو أكثر اشراقا ونبلا .

.. لقد مات رسول الله ، وخرج على بن أبى طالب يقول :

— بابى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء ، وخصصت حتى صرت مسلما بمن سواك ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء . ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفذنا عليك ماء الشئون ، وإكان الداء ماطلا ، والكمد محالفا ، ولكنه ما لا يملك رذه ، ولا يستطيع دفعه . بابى أنت وأمى . اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك .

وكادت أن تحدث فتنة حينما حاول أبو سفيان بن حرب أن يشعلها عندما علم بأن أبا بكر أصبح خليفة للمسلمين .. فقال :

— وليتم على هذا الأمر أذل بيت في قريش ، أما والله لئن شئت لأملأنها على أبى فضيل خيلا ورجلا .

وهنا أوقف على بن أبى طالب هذه الفتنة ، فقد رد عليه قائلا :

— طالما غششت الاسلام واهله فما ضررتم شيئا ! لا حاجة لنا الى خيلك ورجلك .

وأخذ أبو بكر بيعة المسلمين .. وكان والده مازال حيا وقال له الناس :

— قد ولى ابنك الخلافة .

فقرا :

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء » .

وسأل أبو تحافة :

— لم ولوه ؟

قالوا :

— لسنه .

— أنا أسن منه .

وكانت خلافة أبي بكر الصديق امتدادا لعصر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقد قضى على فتنة الردة .

ولم يغير شيئا مما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسير الجيوش لمجابهة أقوى دولتين عرفهما العالم القديم . دولتي الفرس والروم ، و . . كانت بداية النهاية لعصر تهرا وشاساخ ، وبداية نشر ألوية الاسلام الذى انتشر فيما بعد بسرعة البرق الى مختلف قارات الدنيا . ليقيم على أنقاض العالم القديم عالما مشرقا بالنور والامل . نحدوه حضارة الاسلام الشابة التى غزت القلوب والعقول ومدت نور الاسلام الى أماكن لم تكن تخطر على البال .

هذه هى بعض المشاهد من السيرة العطرة . . سيرة سيد البشر . . الذى أخذ يدعو الى الاسلام بصلابة لا تعرف المساومة ولا انصاف الحلول .

((والله يا عماه . لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

لقد رحل الرسول الحبيب الى الرفيق الأعلى بعد أن ملأ الدنيا نورا . . وصدق القرآن الكريم :

((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)) .

((وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا فؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة فؤته منها وسنجزي الشاكرين)) .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١٢	طفولة محمد (صلى الله عليه وسلم)
٢١	شباب محمد (صلى الله عليه وسلم)
٢٧	الرسالة
٣٣	محمد (صلى الله عليه وسلم) في الطائف
٣٦	الهجرة ومسار جديد للدعوة
٤١	معارك الاسلام الكبرى
٤٩	نساء النبي (صلى الله عليه وسلم)
٦٥	ايام الرسول الأخيرة
٧٠	فهرس الكتاب
٧١	ما رأيك

ما رأيك ؟

— وبعد يا عزيزى القارىء الكريم ***

فهذه رسالة اسلامية يقدمها لك المجلس الأعلى للشئون
الاسلامية فى الخامس عشر من كل شهر عربى ، لعلها
تحوز رضاك ، وترد على بعض الأسئلة التى تراودك ،
وتدور بخلد كل مسلم غيور على دينه ، حريص على
الاستزادة من مناهل الاسلام العذبة .

اكتب لنا برأيك فيها ، وما تراه من توجيهات تهدف أولا
وأخيرا الى خدمة أجل رسالة وأتم هدف . وثق أننا سنكون
عند حسن ظنك ، وسنلبى طلبك وستكون رسالتك موضع
الاعتبار والتقدير فنرد عليها اذا كانت حرية بذلك .
والله نسأل أن يلهمك السداد والتوفيق .

على أن يكون خطابك متضمنا البيانات التالية :

الاسم :
العنوان :
الوظيفة :

ويرسل الى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
القاهرة ٣ شارع الأمير قدادار متفرع من ميدان
التحرير .

(قسم الرسائل والتراث)

رقم الايداع ١٩٧٧/٢١٧٣
التريقيم الدولى ٠ — ٣٧ — ٢٤١ — ٩٧٧ — ISBN

مطابع الاهرام التجارية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جمهورية مصر العربية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قسم الرسائل والترات

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز

تأليف: محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى ٨١٣ هـ
 تحقيق: المرحوم الشيخ محمد النجار - الأستاذ عبد العليم الطحاوي

يعرف الكتاب في مقدمة العلوم القرآنية، ويعتبر ثروة فكرية إنسانية وكثراً من كنوز العلم، جامعاً لتمام العلوم والمعارف في عصره.
 أراد المؤلف على ما في الكتاب العزيز من لطائف جلالها في بصائر، وضمن كل بصيرة دلائله ودرقاته. وأصبح الكتاب جملة بصائر تشمل على تفسير القرآن الكريم كله، بالأحكام. ولم يخل الكتاب من توجيهات نورية، ولوحات بالغة، مشوية بفوارس متنوعة تيسر للقارئ ما احتل عليه من صنوف المعارف والفوائد.

مجلد ١

صدر في سنة أجزاء - تحت الجزء الواحد منها ٥٠٠ ر

الجزء الأول نفذ ويعد طبعه

محمد توفيق عويضة

يسر على إصدارها

مراكز البيع



0361553

الثمن ٥ قروش